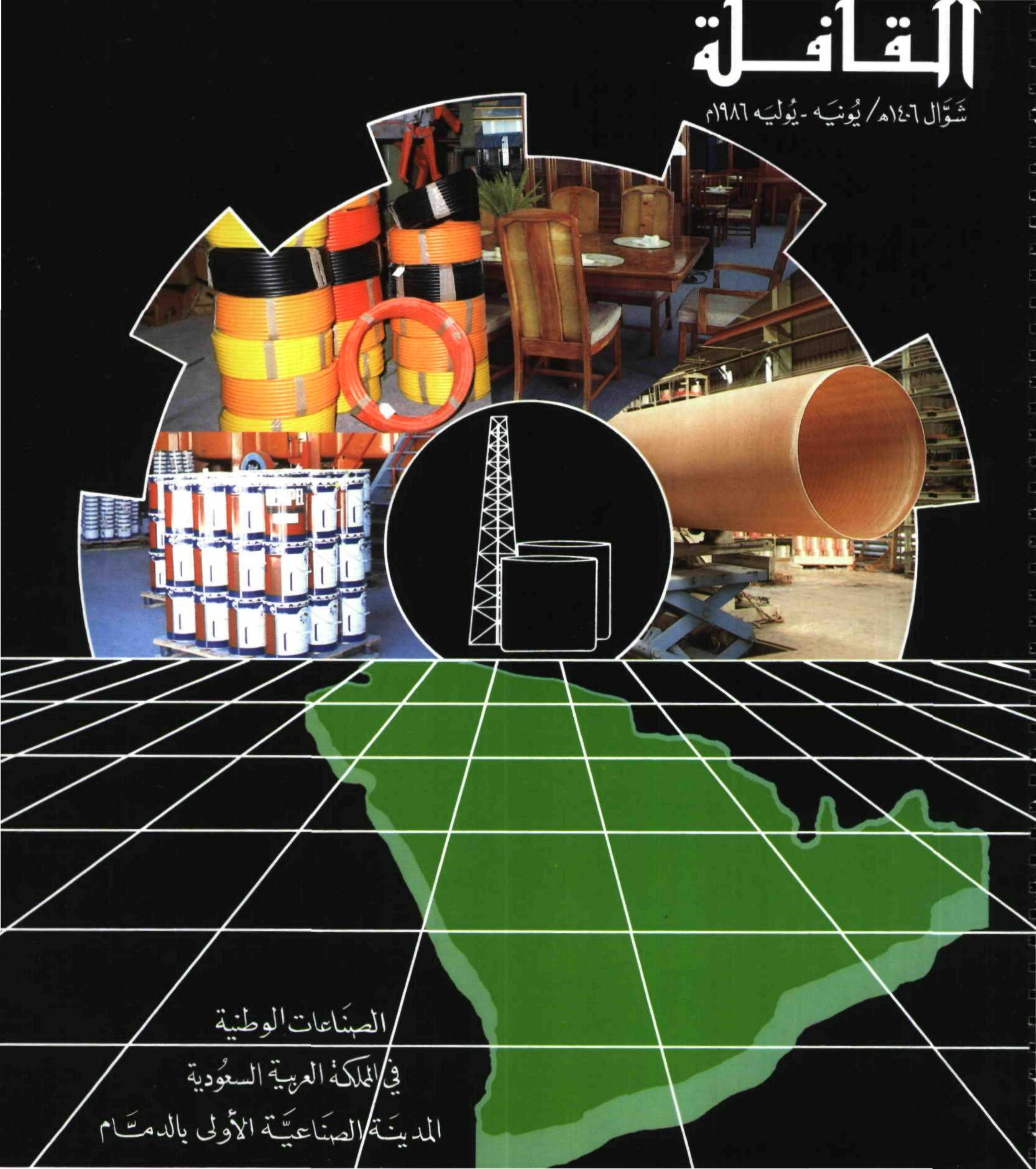

القافلة
شوّال ١٤٠٦هـ/ يُونيـه - يُوليـه ١٩٨٦م
الصناعات الوطنية
في المملكة العربية السعودية
المدينة الصناعيّة الأولى بالدمّام

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

THE CARAVAN JUNE/JULY 1986

شوّال ١٤٠٦هـ/ يونيه - يوليه ١٩٨٦م

العدد العاشر/ المجلد الرابع والثلاثون

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

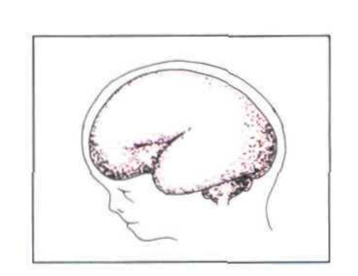
توزّع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام

المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب

رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد: عوني أبوكشك



أنا وأنت نملك معجزة .. لا نعرف أبعادها



الصناعات الوطنية في المملكة العربية السعودية



حرب الحشرات الزراعيّة

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ما ينشر في "القافلة" يعبّر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز اعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

صممت وطبعت بمطابع الوفاء بالدمام

Designed & Printed By Al-Wafa P. Press- Dammam



أعزائي الموظفين

إنه لمن بواعث غبطتي ودواعي سروري أن أغتنم فرصة حلول عيد الفطر المبارك لأقدم لزملائي المسلمين من موظفي شركة (أرامكو) ولأفراد عائلاتهم أجمل التهاني وأسمى الأماني بهذه المناسبة الكريمة .. أعادها الله عليهم بالخير والبركات . وكل عام وأنتم بخير .

جان ج . كلبرر

رئيس مجلس الادارة

كلّ عام وأنتم بخير

يستقبل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها عيد الفطر المبارك بقلوب ملؤها الغبطة والبهجة .. ويُسر هيئة التحرير أن تنتهز هذه المناسبة السعيدة لترفع إلى مقام جلالة الملك فهد وولي عهده الأمين والى المسلمين كافة وإلى القرّاء الكرام أخلص التهاني وأطيب التمنيات ، ضارعة إلى المولى عزّ وجل أن يعيدها عليهم وهم رافلون في أثواب اليُمن والسّعادة والرّخاء .. وكلّ عام وأنتم بخير .

هيئة التحرير

رحلة الشعر العربي من الجاهلية الى الاسلام

ملخص البحث المقدم الى ندوة الأدب الإسلامي بالرياض

بقلم : محمد المجذوب / المدينة المنورة

أول ما انطلقت رسالة الكلمة على ألسنة النبيين اذ كانت وسيلتهم البليغة الى الفطرة، يذكرونها ويوقظون مواهبها القابلة للتسامي ﴿ **وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا** ﴾ .

ثم حمل رايتها بعدهم اعوانهم المخلصون يعالجون بها العوج الطارىء بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي احسن.

ومن هنا بدأ الصراع بين انصار الرحمن وجنود الشيطان ...

ومن هنا بدأ الافتراق بين الطريقين فصارت الكلمة المضيئة على ألسنة المخالفين ترانيم وثنية، ودعوة لعبادة الشهوات، وقصصا لبطولات هدامة، واناشيد حربية لاذكاء الفتن واساطير لمعبودات صنعها الشيطان على ألسنة الزائغين.

وتلك هي السمات البارزة لواقع الادب العام في حياة البشر قبل الاسلام. والأدب العربي جزء منه لم يخالف مسيرته الا بما يميزه من ملامح البيئة التي يصورها

قول احدهم:

وما انا الا من غزية ان غوت
غويت وان ترشد غزية ارشد

وقول الآخر:

واحيانا على بكر اخينا
اذا ما لم نجد الا اخانا

وقول الثالث:

لا يسألون اخاهم حين يندبهم
في النائبات على ما قال برهانا

فهو أدب قبلي لا ينظر الى الدنيا الا من خلال تقاليد القبيلة، التي الغت عقول الافراد فلا يسمحون لانفسهم بالخروج على طرائق آبائهم ... ولنتذكر هنا كلمة عمرو ابن العاص حين قال له بعض اخوانه من السابقين الى الايمان: «مثلك يا ابا عبدالله يتخلف عن هذا الخير!.» فاجاب: كنا نرى لآبائنا عقولا تزن الجبال فلم نكلف انفسنا عناء التفكير بعيدا عن افكارهم، فلما ازالهم الموت رجعنا الى عقولنا فعلمنا وآمنا ... او قريبا من ذلك.

ولا ننسى ان ثمة لمحات من الفطرة في حكمة بعض شيوخهم وحنفائهم. بيد انهم من القلة بحيث لا يغيرون القاعدة، وكان بين هذه القلة رُوَّادٌ تركوا اثرهم في اعداد الجو للانقلاب العقلي والروحي القادم.. وقد لقي بعضهم حتفه في رحلة البحث عن الحق، كزيد بن عمرو بن نفيل.

في هذه الظلمات ينبثق الفجر الجديد من غار حراء داعيا الى الحقيقة، المتمثلة في العودة الى الله والى القيم التي نسيها الانسان .. وبذلك بدأت المسيرة الجديدة تحت راية «لا اله الا الله» فكانت نقلة تامة من الظلمات الى النور، ومن القبلية الى العالمية: «**هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين**».

ونستطيع ان نلمح معالم التحول الجديد في ذلك الحوار الذي دار في حضرة رسول الله، صلوات الله وسلامه عليه، بين وفد تميم من جهة وصاحبيه حسان وثابت بن قيس من الجهة الأخرى، ومن خلاله يتضح الفرق بين التاريخين ومدى كل من الرؤيتين والعقليتين .. وهناك نموذج يسترعي ادق الانتباه في نَصَّيْن من شعر

الحطيئة يمدح بهما الفاروق ويستعطفه لاطلاق سراحه من السجن.. اما اولهما فيسلك به سبيل الجاهلية القائمة على التمجيد والتهويل المألوفين في كل مديح، ولما رأى انه لم يفلح في تحقيق ما يريد عمد الى النوع الذي يمس قلب الفاروق:

ماذا تقول لافراخ بذي مـرخ
زغب الحواصل لا مـاء ولا شـجر
القيت كاسبهم في قعر مظلمـة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

وما اسرع ما آتت هذه الصورة المؤثرة ثمرتها من عطف عمر ورحمته، لأنها اثارت مخاوف الفاروق من عزل هذا المسكين عن اهله الذين لا كاسب ولا حامي لهم سواه!.

واروع من ذلك كله قول رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «انصر اخاك ظالما أو مظلوما..» وكـان على صحابته رضوان الله عليهم ان يسألوه «نعلم كيف ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟!.» واذا هم يتلقون منه التفسير الذي قلب موازين الجاهلية رأسا على عقب حين قال لسائله: «تحجزه عن الظلم فذلك نصره..»

وعلى هذا الطريق تم التغيير الذي اراده الاسلام، فكان شاملا للادب ولكل شيء في حياة المسلم.

ويمضي الادب الجديد في خدمة الدعوة: حكما نبوية وخطبا راشدية وشهبا شعرية. الى ان تسللت ثعابين الفتنة الى تصور الجيل الذي اعقب العهد النبوي، فاذا الأدب العربي يهتز وينطلق مع الاهواء والانحرافات الفكرية والخلقية، حتى يعم البلاء كل فنونه.

على ان بقايا من الضوء لا تزال تنبعث هنا وهناك، تحرك الضمائر وتفتح الاعين. ونقرأ ذلك في نماذج من شعر ابي تمـام في مديح ابي سعيد الثغري ورثاء ابن حميد الطوسي ورثاء الافشين وفي فتح عمورية. وفي رثاء البصرة لابن الرومي، وابي البقاء في رثـاء الاندلس، وفي ما لا يحصى من النفحات الاسلامية الخالدة.

ثم جاءت المؤامرة الصليبية اليهودية على الاسلام استعمارا وتنصيرا وتدميرا حتى تمت الكارثة بالغاء الخلافة، فتمزقت الامة وتَشَتَّتَتْ الافكـار وتهدمـت السدود، فتدفقت من ورائها المفاسد العالمية.

وهنا بدأت المرحلة الرهيبة في أدب ما بعـد الخلافة، واكثر ما يمثله ذلك التفتت العام. فالادباء بين باك على الخلافة وشامت بها وغارق في موالاة اعدائها.

ونظرة الى مجاري الأدب المعاصر ترينا هذه الالوان المتباينة بين الاصالة والتزييف، وما كان ذلك ليحدث لو بقيت الخلافة رمز وحدة المسلمين.

ومن هنا نطل على تلك السموم الدافقة في سيل من الادب الدخيل مفصـول عن روح الامـة الا الفاظه العربية مركبة في نسق غريب عن طبيعة البيان العربي. ويزعم مع ذلك انه يريد تجديد بنيانها، وقد مارس انتاجه في كل الفنون واستقبله اعوانه، المفرغون من الثقافة الاسلامية، في موكب من الدعايـة التي شغلت وسائل الاعلام كلها الا ما رحم الله، وهو قليل. ولكن.. هل خرست الاقلام المؤمنة في غمار هذه الضوضاء؟.. كلا..

لقد تتابع على الراية فرسان ﴿**صدقوا ما عاهدوا الله عليه**..﴾ ومضى الأدب الاسلامي في طريق النمـو والتطور الصاعد شاملا سائر الفنون، من قصة ومقالة وخطبة وبحث ومسرحية..وكان للشعر الاسـلامي الحديث نصيبه الاوفى من هذه الحركة، لا نبرح نطالعه في اسلاميات شوقي ومحرم وعمرية حافظ، ثم في ورثائهم من شعراء آمنـوا بقضية الاسلام ومضوا يترجمون مشاعرهم نحوها خافقة بأروع الامثلة. وهؤلاء وراء كل انبعاث اسلامي وكل انطلاقة اسلامية في كل مكان من ربوع الاسلام.

ويحاول المتحللون تصوير الشاعر الاسلامي بأنه الجامد المتزمت الذي لا يصلح الا للموعظة، ولكن هذا الشاعر اثبت انه الحر الطليق الذي ينفعل بالجمال كما ينفعل بروح القوة الحارسة للحق..ولكن للحرية بنظره موازين لا تفارق معاني الفضيلة، التي تسمو بتصوراته الى الاعالي، ولا تعرف الهبوط الى الدركات التي يتخبط فيها المتحللون.

وطبيعي ان يمس هذا الجانب قضية الالتزام بالنسبة الى الاديب المسلم كاتبا أو مفكرا أو شاعرا، والذي أراه

ان الالتزام قانون طبيعي ينتظم كل انسان، فكل سلوك ينتهجه باختياره انما يترجم دوافعه النفسية والعشرات من العوامل التي تكون اتجاهه. وعلى هذا فالاديب المسلم لا يكون الا ملتزما لأنه لا يستطيع الفصل بين عمله وعقيدته، وكل ظاهرة للانفصام بينهما دليل على اهتزاز تصوراته الداخلية. وفي الحديث الصحيح ان الاسلام بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله، وادناها اماطة الأذى عن الطريق. ومن هنا كان الأدب الاسلامي الحق صورة حية لعلاقة منشئه بالانسان والحياة، ولأشواقه الروحية التي تشد قلبه وعقله ومشاعره الى الحق والخير.

وأينما وجد هذا النسيج الأدبي فهو اسلامي بصدوره عن الفطرة، ولو كان منشئه من غير المسلمين. ذلك لان الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو بها احق. وضربت لذلك بعض الامثلة لما اريد. فاقبال مثلا، شاعر اسلامي في القمة بهذا المقياس، ولكنه مفكر غير اسلامي في موضوعاته الفلسفية. والمتنبي اسلامي في ملامحه البطولية مع سيف الدولة، وكثير من شعره الآخر غير اسلامي بل هو قرمطي قح!.

في اثناء هذا الصراع بين الاصالة والزيف، برزت محدثات من الأدب ما لبثت ان اخذت سبيلها الى الانتشار فهي اليوم قلما تخلو منها مجلة أو جريدة من حدود الاطلسي الى اقاصي الخليج. وقد اضطربت في تقويمها آراء الناقدين، فهم بين كاره لها لمجرد تجاوزها نطاق التراث ومصفق لمجرد مفارقتها سبيل التراث. وقد بلغ الاختلاف بشأنها الى حد الخلاف على وصفها ونسبتها أهي من الشعر ام هي من النثر! وهذه المحدثات منها الملتزم بالوزن دون تقيد بأنظمة البحور الموروثة، ومنها المتحرر، ولكنها تلتقي على اهم خصائص الشعر من حيث النغم والألق والصورة الطريفة، وعمق التجربة الشعورية..

ونظرة أخرى الى تطور الاسلوب الشعري خلال التاريخ ترينا كيف بدأ الشعر بالتفعيلة المفردة، ثم تدرج الى الاوزان المركبة. وفي اثناء تلك المسيرة، برزت التغيرات الكثيرة التي تعدت المألوف، فكان الموشح والدوبيت والمسمط وما اليها.. وكذلك الامر بالنسبة الى النثر الفني اذ بدأ حكما وامثالا، ثم جرت عليه سنة التطور فاذا هو متمثل في عشرات الفنون التي لم يحلم بها الاولون. وطبيعي ان الشاعر العربي الاول لم يرد تقييدنا بما وصل اليه، وكذلك الناثر. فبأي حق نغلق نحن الابواب بوجه المواهب لنقيدها بحدود الماضي وحده!! ان التطور سنة الله ولا يمكن استبعاده عن الأدب بشرط الالتزام بقوانين البيان العربي. فلا نسمح له بتقمص الاشكال الدخيلة التي لا تنسجم مع تصوراتنا واساليبنا الاصيلة.

واقترحت ان تولى هذه المواهب الحديثة ما تستحق من العناية، ومن ذلك ان نعطي كلا من القسمين، الموزون وغير الموزون، مصطلحه المناسب فيخص الاول باسم «النظيم» فالقطعة منه «نظيمة» ونسمي الآخر باسم «النثير» وتكون القطعة منه «نثيرة».. وبذلك يكون لدينا: القصيدة والنظيمة والنثيرة، وكلها تجمع على «فعائل» كقصيدة وقصائد، ولا علينا ان تكون هذه الالوان من الصياغة الادبية متأثرة ببعض الآداب الأجنبية، فتلك من السنن الاجتماعية القائمة على الاخذ والعطاء، وانما المهم انها موجودة وفيها من الألق والجمال وحرارة الانفعال ما يضيف جديدا الى ادبنا الجميل.

وفي اشارة مفصلة الى الشعر الاسلامي الحديث نلاحظ انه لم يتوقف عطاؤه واهتمامه بواقع العالم الاسلامي، وتفاعله مع الاحداث والنكبات التي ألمت بشعوبه على اختلاف مواطنها، ولكن المؤسف أن هذا الانتاج لا يبرح متفرقا لم يؤلف بينه، وحبذا لو تجمع هذه المتفرقات المكتوبة في مختلف الالسنة، فيترجم اعجميها الى العربية ثم تنشر في موسوعة كاملة. ولعل من الخير ان يقوم تعاون منسق بين جامعة الامام والجامعة الاسلامية وندوة العلماء في الهند وغيرها من المؤسسات الاسلامية المعنية بشؤون الدعوة، لتحقيق هذه الأمنية التي يتطلع اليها كل مفكر اسلامي واديب.

ثم لا ننسى العبء الذي تقوم به حتى الآن ندوة العلماء في لكنهؤ من حيث الاتصال بحملة العلم الاسلامي في مختلف انحاء العالم، منذ تولت أمانة العمل لهذا المشروع الهام. والامل وطيد بأن تسهم جامعة الامام في هذا المجهود المبرور وذلك بانشاء مكتب خاص للتنسيق بين توصيات الندوات الثلاث، ثم لمتابعتها حتى تؤتي ثمارها كاملة ان شاء الله □

علامة الجنوب
محمد بن أحمد العقيلي

بقلم : د . مصطفى إبراهيم حسين / الرياض

هو محمد بن أحمد عيسى العقيلي . ولد في صبياء[1] عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٦م وتلقى مبادىء القراءة والكتابة على يد الشيخ محمد بن خميس باجبير المؤدب ، ثم على يد والده الشيخ احمد العقيلي ، وغيره من علماء المنطقة الجنوبية ، كالشيخ علي بن احمد الاهدل ، والشيخ عقيل بن احمد ، وكان من علماء النحو والبلاغة ، فقرأ عليه « العقيلي » علوم النحو والصرف والمعاني والبيان ، وكان للشيخ عقيل ، وهو علامة جازان في زمانه ، مجالس للاقراء والتعليم . كما تتلمذ على الشيخ « عبدالله العمودي » ، من علماء ومؤرخي جازان .

أما نشاط العقيلي الأدبي والعلمي ، فقد تنوع بين التاريخ العام ، والتاريخ الادبي ، ودراسة الأدب الشعبي . هذا الى جانب اشتغال العقيلي بتحقيق ونشر النصوص المخطوطة ، اضافة الى نشاطه في القاء المحاضرات ، وتحرير المقالات ، والمشاركة بالبحث والمناقشة في المحاضرات والندوات العلمية .

وقد نشر العقيلي مقالات وأبحاثا في العديد من المجلات والصحف ، مثل : المنهل ، واليمامة ، والرائد ، والمجلة العربية ، والاديب ، والبلاد ، والمدينة ، وعكاظ . ومن موضوعات محاضراته :

★ الدولة السعودية الاولى في جنوب غرب الجزيرة . وقد ألقاها بجامعة الرياض عام ١٣٩٣ هـ .
★ المخطوطات بالمكتبة العقيلية بجيزان ، القاها بمكة عام ١٣٩٤ هـ .
★ مؤرخو منطقة جيزان . ألقاها بالرياض عام ١٣٩٧ هـ .
★ الأماكن الجغرافية في الشعر بمنطقة جازان .
★ حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

العقيلي مؤرخا

عني العقيلي ، في المقام الاول ، بالتاريخ لمنطقة جنوب شبه الجزيرة ، على نحو شامل موسع ، في كتاب يقع في ثلاثة مجلدات ضخام ، هو كتابه : « المخلاف السليماني » كما تناول آثار الجنوب بدراسة ، جعل عنوانها : (الآثار التاريخية) ، هذا الى جانب عضويته بمؤتمر مؤرخي الجزيرة العربية ، المنعقد بمدينة الرياض عام ١٣٩٧ هـ ، والمؤتمر الجغرافي الاسلامي الاول عام ١٣٩٩ هـ . كما قدم دراسة تاريخية تحقيقية عن (سوق عكاظ) ، وصدرت تلك الدراسة في كتاب مستقل .

وقد نشر العقيلي كتاب (نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود) ، الذي ألفه علامة الجنوب الشيخ عبدالرحمن بن احمد البهكلي (ت ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م) .

هكذا يكشف ذلك الجهد العلمي الغزير عن عالم مؤرخ دؤوب ، يجعله في الصدارة من المختصين بتاريخ جنوب الجزيرة السياسي والحضاري والادبي . ونحاول فيما يلي ان نضع ثبتا بمؤلفات العقيلي :

★ المخلاف السليماني جـ[1] : دار اليمامة عام ١٣٧٨ هـ ، وصدر في طبعته الثانية عام ١٤٠٢ هـ .
★ المخلاف السليماني جـ[2] : دار الكتاب بالقاهرة عام ١٣٨٠ هـ .
★ الشاعر بن هتيمل ، دراسة وتحليل وتحقيق ، دار الكتاب بالقاهرة عام ١٣٨٠ هـ .
★ كتاب عن الشاعرين السلطانين ، دراسة وتحليل وتحقيق ، بيروت ، دار صادر ١٤٠٣ هـ .
★ الجراح بن شاجر ، دراسة وتحليل وتحقيق ، دار اليمامة ١٣٨٥ هـ .
★ التصوف في تهامة ، دراسة عن التصوف والصوفية ، دار الاصفهاني بجدة ، ويطبع الآن طبعة موسعة بمطابع دار البلاد .
★ الانغام المضيئة ، ديوان شعر ، دار اليمامة ١٣٩١ هـ .
★ الادب الشعبي في الجنوب ، دار اليمامة ١٣٩٢ هـ .
★ المعجم الجغرافي لمنطقة جازان ، دار اليمامة ١٣٨٩ هـ .
★ أضواء على الادب والادباء بمنطقة جازان ، دراسة وتراجم . دار مكة للطباعة سنة ١٤٠٠ هـ .
★ محاضرات في الجامعة والمؤتمرات ، دار البلاد ١٤٠٠ هـ .
★ الآثار التاريخية ـ آثار منطقة جازان . نهضة مصر بالقاهرة ١٣٩٩ هـ .
★ نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود . (تحقيق) ، مطابع دار الهلال ١٤٠٢ هـ ، من مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز .
★ أفاويق الغمام ، ديوان شعر ، دار البلاد ، جدة ١٤٠٢ هـ .
★ معجم اللهجات المحلية ، اللهجة المحلية لمنطقة جازان ، دار البلاد — جدة ١٤٠٣ هـ .
★ ديوان شعراء الجنوب ، (بالاشتراك) ١٣٦٥ هـ .

والى جانب هذا الثبت من اعمال العقيلي التي صدرت بالفعل ، فما تزال له اعمال أخرى تحت الطبع ، هي :

١ ـ تقع (صبياء) في سهل تهامة بين قمم الحجاز وشواطىء البحر الأحمر ، على مقربة من بلدة (ضمد) .

★ العقد المفصل بالعجائب والغرائب ـ وهو عن تاريخ منطقة الجنوب في القرن الثاني عشر ـ تحقيق ودراسة .

★ كتاب المعجم النباتي ـ وهو دراسة لنباتات المنطقة .

★ سوق عكاظ في التاريخ ـ يطبع حاليا في لبنان لحساب نادي ابها الادبي .

★ مذكرات سليمان شفيق ـ دراسة وتحليل وتحقيق . ويطبع حاليا بمطابع البلاد ، لحساب نادي أبها الادبي .

★ الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، حياته وفكره ـ ويطبع حاليا بمطابع البلاد ، لحساب نادي أبها الأدبي .

★ من أدب جنوب الجزيرة ، دراسة عن أدب جنوب الجزيرة ، جاهز للطبع .

★ العقد الثمين في ذكر المناقب والوقائع ، تحقيق وتعليق ودراسة .

★ وله قصيدة بعنوان (ديجول) ، ترجمت الى الفرنسية .

العقيلي مؤرخا

نكتفي هنا بتناول كتاب (المخلاف السليماني) ، وقد صدرت طبعته الثانية التي نعتمدها ، عام ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، بعد مزيد من التنقيح والتعديل . اما مصطلح « المخلاف السليماني » ، فيطلق على منطقة (جيزان) أو (جازان) ، وهي الواقعة في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية بين البحر الاحمر ، والمرتفعات الشرقية ، ونسبت منطقة المخلاف تلك الى (سليمان بن طرف الحكمي) ، الذي تولى حكم منطقة جازان (المخلاف) في آخر عهد الدولة الزيادية ، واستمر حكمه من عام ٣٧٣ الى عام ٣٩٣ هـ ، أي نحو عشرين عاما . ولم تشر المصادر التاريخية ـ على اختلافها ـ الى اسباب انهيار امارة (سليمان الحكمي) تلك ، كما لم تشر ايضا الى سنة وفاته .

وكتاب (المخلاف السليماني) بأجزائه الثلاثة دراسة شاملة موسعة في التاريخ السياسي والحضاري لمنطقة الجنوب بعامة . ويختص الجزء الاول منه بالتاريخ السياسي في اطوار مختلفة ، منذ أقدم عصور التاريخ ـ قبل الميلاد ـ حتى العصر التركي في القرن الثالث عشر الهجري ، أي مطالع القرن العشرين الميلادي . فهو اذن تاريخ لجنوب الجزيرة بعامة ، وتاريخ جازان بصفة خاصة .

وفي الجزء الثاني من كتاب (المخلاف السليماني) ، بدأ المؤلف بأواخر العهد التركي ، ورصد تصاعد الوعي السياسي والنضال التحرري ، وتكوين امارات عسير وتهامة وغيرها الى قيام : (المملكة العربية السعودية) ، التي انتظمت تلك البلاد في سلك واحد ، وتوحدت تحت راية الدولة الاسلامية الحديثة ، أغلب أجزاء شبه الجزيرة بعد نضال مؤسس الدولة ، جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، طيب الله ثراه .

وقد تجاوز عدد المصادر والمراجع ، التي استقى منها المؤلف الشيخ العقيلي مائة وثلاثين مصدرا ، بعضا منها للقدماء ، وبعضها لمؤرخين معاصرين او محدثين ، عرب ومستشرقين ، مما يجعل كتاب (المخلاف السليماني) اوفى مرجع في التاريخ السياسي والحضاري لجنوب شبه الجزيرة العربية .

والكتاب ـ كما يرى علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر ـ « يعد من اولى المحاولات لتدوين تاريخ البلاد ، التي عني بتاريخها بطريقة تغاير ما سار عليه كل من كتب التاريخ في هذا الجزء من بلادنا . وهو من المحاولات الاولى في تدوين تاريخ بلادنا بطريقة حديثة » .

وتصدق عبارة الشيخ حمد الجاسر من عدة وجوه . لعل من ابرزها ، ان الكتاب مبوب تبويبا دقيقا منظما . كما ان مادته العلمية قد خضعت لغير قليل من الدقة ، كما اخضعها المؤلف لغير قليل من التركيز برغم غزارتها واتساعها ، فلم يشبها الحشو والاستطراد ، الذي يشتت الفكرة ، ويقطع مسارها وتسلسلها .

هـذا الى جانب عناية المؤلف بالتعويل على « الوثائق والآثار » كمصادر تاريخية حية ، وبحوزة العقيلي ـ كما قلنا ـ قدر وفير من الوثائق والمخطوطات عن الجنوب ، اعانه على اجادة التأليف .

العقيلي محققا

للعقيلي جملة من الكتب المحققة ، منها ، على سبيل المثال ، تحقيقه لكتاب (نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود) ، وهو من تأليف الشيخ عبدالرحمن بن احمد البهكلي ، أحد علماء مدينة « صبيا » احدى مدن الجنوب ، والمتوفى عام ١٢٤٨ هـ / ١٨٣٢ م . وأحد تلاميذ الشوكاني ، رحمه الله ، صاحب كتاب (نيل الاوطار) . وكتاب (نفح العود) هو كتاب في اخبار دولة الشريف حمود . وتكمن أهمية هذا الكتاب ، في انه قد حفظ لنا اخبار حقبة زمنية هامة ، تبلغ اثنتي عشرة سنة ، لكنها من اخطر حقب تاريخ جنوب الجزيرة العربية ، اذ تسجل احداث دخول الدعوة السلفية الى الجنوب ، وامتداد سلطان الدولة السعودية الاولى على انحائها المختلفة ، وخضوع حمود بن محمد أمير المنطقة ، آنذاك ، للدولة الجديدة ، وامتداد الدولة السعودية على المنطقة ، من تهامة اليمن الى قريب من باب المندب .

وقد توقف البهكلي ، المؤلف الاصلي للكتاب ، بمؤلفه ذاك عند نهاية عام ١٢٢٥ هـ ، ثم اكمله ، من بعده ، تلميذه الشيخ حسن بن احمد بن عبدالله الضمدي (ت ١٣٨٩ هـ) ووقف به عند عام ١٢٣٣ هـ .

ويتمثل عمل المحقق ، الشيخ العقيلي ، لكتاب (نفح العود) فيما يلي :

★ تحقيق النص ، وتحريره من الاغلاط .

★ التقديم للكتاب بمقدمة ضافية ، تعد دراسة علمية رصينة ، في التعريف بالكتاب ، وبمؤلفيه ، وبالاحداث والوقائع ذات العلاقة بموضوع الكتاب .

★ علق المحقق حواشي الكتاب ، وزود تلك الحواشي بمعلومات ضافية ، تعد اضافة حقيقية لمتن الكتاب ، اذ فصل المحقق ما أجمله المؤلفان من الاحداث والوقائع ، وعرف بالاعلام التي ورد ذكرها في المتن .

★ صنع المحقق ، في ذيل الكتاب ، فهارس تحليليـة ، شملت الاعـلام ، والامـاكن والبقاع ، والقبائل ، والكتب المخطوطة والمنشورة . وتعد هذه الفهارس المنوعة الدقيقة بمثابة مفاتيح للكتاب في جملته ، متنا وحواشي ومقدمة ، تيسر على قارئه الولوج الى دهاليزه وشعابه المختلفة .

العقيلي والأدب الشّعبي

وعنوان كتابه، على وجه الدقة، (الادب الشعبي في الجنوب) وهو من جزءين اثنين، وهو الكتاب الذي اخترناه من بين مؤلفات العقيلي، لدراسة جهوده في دراسة الادب الشعبي. عرض العقيلي في هذا الكتاب لأنواع الشعر الشعبي في الجنوب، ولمسمياته، كما عرف كل نوع من هذه الانواع، واجتهد في ضبط المصطلح، وفي ايراد الشواهد الدالة. وأهم هذه الانواع:

- ★ **القاف**: وكأن اسمه مشتق من القافية. وهو شعر ينشد بتطريب وتلحين.
- ★ **الدلع**: وهو شعر مثلث غالبا. وله رقصة جمالية تسمى باسمه. ورقصته من رقصات المناسبات المثيرة، كالخروج للحرب أو العودة من غزوة، أو بالترحيب بضيف كبير يحب أهل القرية أو القبيلة لاظهار مشاعرهم نحوه.
- ★ **الزامل**: وهو نشيد ورقصة تعرف باسمه. ويدخل في هذا النوع طرق مختلفة، منها طريقة (العسيرية)، وطريقة (المشرقية)، وهو في حقيقته من نوع القاف، الذي سبق ذكره، في تلك التعريفات.
- ★ **الغزاري**: وهو من باب الالغاز في الشعر الفصيح. ويتألف من مقطوعتين: الاولى تسمى باسمه رقصة معروفة بهذا الاسم، وهو يتألف من مقطعين، أحدهما يسمى (المرسم). والآخر (الردود).
- ★ **التحسيدة**: وهو من باب الالغاز في الشعر الفصيح، ويتألف من مقطوعتين، تسمى احداهما (التحسيدة)، والقطعة الثانية تسمى (الفتوى).
- ★ **الزيفة**: وهو شعر تسمى باسمه رقصة معروفة بهذا الاسم، وهو يتألف من مقطعين. الاول يسمى (المرسم)، والآخر يسمى (الردود).
- ★ **الطارق**: وهو شعر من نوع (المجانا) و (العتابا) الشائعين في كل من سوريا ولبنان. والذي يسمى في الحجاز (المجرور)، كما يسمى (الموال) في اقطار عربية اخرى. من بينها مصر.

والكتاب في عمومه دراسة طريفة ورصينة في الوقت نفسه، للكثير من بقاع الجزيرة العربية، كما ان لمؤلفه حسا متميزا في تذوق وفهم المناخ النفسي والاجتماعي، الى كونه مؤرخا، وعالما أديبا، هذا الى جانب التراث العلمي الزاخر، الذي تحفل مكتبته الخاصة به، مع ما ورثه عن أبيه من تراث، فضلا عن النجابة العلمية والادبية. وقد أتاح له ذلك كله قدرا موفورا من النجاح.

وبعد، فان من دوافع العقيلي الى تأليف كتابه في الادب الشعبي في منطقة الجنوب ان «تاريخ الجزيرة العربية لا يمكن ان يكتب بدقة واستقصاء وشمول الا اذا أتم تسجيل التراث الشعبي. ولا سيما الشعر العامي والقصص والاخبار، مما يعتبر سجلا حافلا لوصف حياة الجزيرة، وما جرى فيها من مظاهر الحياة المختلفة، من غزوات وحروب وكرّ وفرّ، وخصب ومجاعات وحروب واختلافات قبلية، كانت سبيل الكسب الوحيد للعيش المنغص من السلب والنهب، ودراسة عادات كل قبيلة وتقاليدها وقصص حروبها وأساطيرها وأناشيدها ورقصاتها، وفي الاشعار الشعبية والوقائع القبلية، وذكر حوادث وتسجيل بطولات، واشادة بمفاخر وغارات، قيد أوابدها الشاعر العامي قبل مائتي عام. وأكثر هذا في منطقتنا (المخلاف السليماني).

وهو يحفظ ويروي. «ولولا هذا الشعر الشعبي المحفوظ لضاع قسم مهم من التاريخ، لا يستغني عنه الباحث والدارس والمحقق». أما عن مصادر العقيلي في دراسة الأدب الشعبي، فيبدو ان أهم تلك المصادر شأنا كانت «الأخذ من أفواه الناس»، أي «الرواية الشفوية». وتدل عبارات له في غير موضع من كتابه المتقدم، على ان ظاهرة «الرواية الشفوية» كانت شائعة متداولة بين أدباء العامية، والمهتمين بالتراث من العوام والخواص، وانه لولا الرواية، لضاع تراث غزير من الامثال والحكايات والمسميات.

ويبدو ان هذا التراث، لم يلق من الرواة عناية خاصة في سبيل جمعه وتدوينه، وحفظه بغير طريق الاستظهار والتناقل الشفوي.

ويلاحظ قارىء كتاب (الأدب الشعبي في الجنوب) ان العقيلي يثبت بعض النصوص الشعرية مقرونة بأسماء رواتها الذين لقيهم، وأخذ من أفواههم. كما حرص ايضا على ان يصنع ثبتا بالكلمات الغريبة العامية، مقرونة بمعانيها باللفظ الشائع المتداول في اللغة الفصحى.

العقيلي شاعرًا

للعقيلي ديوان شعر، بعنوان (الانغام المضيئة) صدر في طبعته الاولى عام ١٣٩١هـ / ١٩٧١م ويستفاد من مقدمة ديوانه بقلم الشيخ حمد الجاسر، ان شاعرية العقيلي، قد تفتحت في سن مبكرة، وان جل الاشعار التي ضمها الديوان، هي من اوائل ما نظم.

وقد قسم الشاعر ديوانه على الاغراض لا القوافي، فجعله في سبعة فصول، هي:

- ★ **السعوديات**: وهي قصائد قيلت في آل سعود، مدحا واشادة، بالملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن، مؤسس الدولة السعودية، والملك سعود بن عبدالعزيز، والملك فيصل ابن عبدالعزيز، والملك خالد بن عبدالعزيز، طيَّب الله ثراهم. هذا الى جانب قصائده الى جلالة الفهد بن عبدالعزيز حين كان وزيرا للداخلية.
- ★ **في ربوع الوطن**: وهي في شعر الوصف، وقد حظيت المشاعر المقدسة، وجنوب الجزيرة بقدر موفور من هذا الشعر الوصفي.
- ★ **عربيات**: وهي قصائد توجه الشاعر بها الى الامة العربية، في مناسبات عربية مختلفة.
- ★ **شرقيات وغربيات**: وهي قصائد في اغراض عالمية شتى، منها قصائده عن قمة افرست، والقنبلة الذرية، وبطولة الرئيس الفرنسي الاسبق ديجول.
- ★ **غزليات**: وهي قصائد في موضوعات عاطفية شتى.
- ★ **أناشيد**: ويضم هذا الفصل نشيدين وطنيين، هما: نشيد المملكة العربية السعودية، ونشيد أبناء الجزيرة العربية.

وقصائد الديوان، في جملتها، كان قد سبق نشرها منجمة في مجالات مختلفة، قبل ان يضمها هذا الديوان. ومن الصحف والمجلات التي نشرت فيها: مجلة (العرب)، التي أسسها ويرأس تحريرها الشيخ حمد الجاسر، ومجلة (المنهل) التي اسسها المرحوم الشيخ

عبدالقدوس الانصاري، وصحيفة (البلاد). وتبلغ عدد قصائد الديوان ستا وأربعين قصيدة، وهي تجسد خطوطا ثلاثة في المضمون، هي:

★ الخط الاسلامي.
★ الخط العـربي.
★ الخط الانساني.

ولعلّ قصيدة (المشاعر المقدسـة) من أوضح القصائد الدالة على المضمون الاسلامي، حيث تطرق الشاعر من حديث عن المشاعر المقدسة بمكة المكرمة، الى تذكير بامجاد العرب والاسلام، قديما، وبكاء على آثارهم وممالكهم الزائلة، ومنها قوله:

أندب الدين في ممالـك دالت
في طلول ذهابها (الفن) درسي
فوق (غرناطة) وفي سهل شيري
نطقت عـبرة بأفصح همـس

والقصيدة في عمومها معارضة لسينية البحتري، وسينية احمد شوقي ايضا، ولا تقف المعارضة عند الوزن والقافية وحدهما، بل ان المعارضة تستوحي الجو النفسي، وتستدعي التراث التاريخي الخالد.

أما الاتجاه العربي القومي، فتمثله في ديوان العقيلي قصيدته عن (البلاد العربية)، وقصيدته عن (فلسطين)، وهو في القصيدة الاخيرة يستدعي الامجاد التاريخية، ويفصل ابعاد النكبة، ويحث على البذل من اجل فلسطين، ويبرز الاتجاه الانساني لدى الشاعر العقيلي.

ولعل قصائده (القنبلة الذرية ـ قمة افرست ـ بطولة ـ ديجول)، قد خلصت خلوصا تاما للمضمون الانساني، وان لم تخل في عمومها من لمحات قومية، حرص الشاعر على ابرازها، وكأنه بهذا يجسد الرؤيا العربية للواقع الانساني في جانبه العالمي.

وبعـــــد ..

فلن نكون مبالغين، حين نقرر ان الشيخ العقيلي يعد بحق حجة في جنوب الجزيرة العربية، تاريخا، وأدبا، ولغة، وعادات، كما انه صورة مشرقة للأديب والعالم في جزء عزيز من اجزاء الجزيرة العربية، في المملكة العربية السعودية □

الحـُـدود الفنّـيّة بـيـن

الـرّسمي والعـاميّ والشعـبي في الأدب العـربي

بقـلم: د. أحمد سيّد محمد / المدينة المنورة

لا يجهل المثقفــون ثقافــة غـير متخصصة إدراك الفوارق بين الأدب الشعبي وغــيره. وقد يتبــادر الى أذهانهم أن غير الأدب الشعبي هو الأدب الفصيح، وأن الفارق هو اللغة. ولكن المتخصصين يعلمون أن الفارق أكثر من ذلك، وأن غير الشعبي ليس هو الرسمي فحسب، بل هناك أدب ثالث هو الأدب العامي. ولكل واحد من هذه الآداب الثلاثة تاريخه الخاص، وألوانه المتعددة بخصائصها الفنية، ومناهج دراستها.

وقد تتعدد الأسس التي تقوم عليها التفرقة بين هذه الآداب ما بين لغوية، وتاريخية، وتقنية، ومع ذلك فمن الممكن أن نجملها في العناصر التالية:

أولا: **اللغة**: اللغة هي أساس وجوهر التفرقة بين أدب وآخر بل هي المحك الذي تدور عليه نسبة الأدب وتسميته، فيقال الادب العربي نسبة الى اللغة العربية، والأدب الفرنسي نسبة الى اللغة الفرنسية. ومهما اختلفت جنسيات الأدباء، وتعددت بيئاتهم، وتباينت مذاهبهم ومشاربهم، فهي مقياس صادق ـ أيضا ـ للتفرقة بين الانواع الثلاثة في الأدب العربي. فالأدب الرسمي يعتمد على اللغة الفصيحة (المشتركة) بخصائصها الفنية في الدلالة والاشتقاق والتصريف والاعراب وغيرها. ومتى أخل الأدب بشيء من قواعد

اللغة الفصحى اعتبر أدبا معيبا، على تفاوت في درجات العيب، بمقدار اللجوء الى الضرورات اللغوية. والأدب الشعبي يستخدم لغة الحياة اليومية السائدة بين العامة بما فيها من كلمات صريحة ومكنية، وأصيلة ومستوردة، وعربية ومستعربة، وخاصة ببيئة معينة او شائعة الاستعمال في العديد من البيئات. أما الأدب العامي فانه يستخدم اللغة الفصيحة تارة، واللغة العامية تارة أخرى، وهو مع استخدامه اللغة الفصيحة يختلف عن الأدب الرسمي، لأن الأدب الرسمي يفسده استعمال كلمات غير فصيحة. وعلى العكس من ذلك الأدب العامي، فمن سماته أن تحتوي لغته على كلمات غير فصيحة «دخيلة أو ملحونة» على الأقل كما نرى في فن الموشحات؛ فقد اشترط في جزء منها وهي «الخرجة» أن يكون بلغة غير فصيحة. كما يختلف الأدب العامي في استخدامه العامية عن استخدام الأدب الشعبي لها، فعامية الأدب الشعبي مستقاة من افواه الشعب دون اختيار أو انتقاء، ودون تهذيب أو تنميق، ودون اللجوء الى التعبير بالخيال أو التصوير. ويمكننا أن نلمس هـــذه الفوارق اللغوية بقراءة قصيدة من الشعر وقطعـة من الزجل، وصفحات من «ألف ليلة وليلة» أو «السيرة الهلالية».

ثانيا: **نسبة الأدب الى قائله**: الأدب وإن كان تعبيرا عن مجتمع ما، وصدى لبيئة معينة، وتصويرا لأحداثها ومشكلاتها، فمصدره فرد واحد. ومن هنا ينسب العمل الأدبي الى مؤلفه ومبدعه الذي يبرز واضحا باسمه وشخصه في الأدبين الرسمي والعامي، ويختفي تماما في الأدب الشعبي ليترك المجال لغيره من مبدعي عصره أو العصور التي تتلوه حتى تضع بصمات أيديها عليه. وتُعمل فكرها فيه: زيادة ونقصانا، وتطويرا وتحويرا، لكي تأخذ سمة عصر من العصور، وبيئة من البيئات. فنحن نعلم أن امرأ القيس هو القائل:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومـل

الزجال «احمد رامي» هـــو مؤلف تلك الكلمات التي غنتها أم كلثوم: «أروح لمين». ولكننا لا نعرف يقينا مؤلف «السيرة الهلالية»، ولا نعرف بأي وجه من الوجوه مؤلف حكايات «الف ليلة وليلة».

ثالثا: **المشافهة والتدوين**: لا شك أن ظهور الأدب المنطوق كان أسبق من ظهور الأدب المكتوب في جميع الآداب القديمة. وقد شهد الأدب العربي، قبل تدوينه، عصر المشافهة، والتنقل بالرواية. ومنذ شيوع استخدام الكتابة العربية في القرن الثاني للهجرة، وأدباء العربية يدونون انتاجهم عند ميلاده، وكان كله من الأدب الرسمي في ذلك الوقت. وعندما ظهرت فنون الأدب العامي بعد ذلك، كانت الكتابة منتشرة، فدون وقت ميلاده أيضا. أما الأدب الشعبي، فعلى الرغم من انتشار الكتابة عند ظهوره، فانه لم يدون في حينه، ولم يسجل يوم ميلاده، وظل يعبر السنين والأقطار على الألسنة والافواه حتى اكتمل نضجه ودون في مرحلة متأخرة عن وقت ميلاده. ونلاحظ ان الأدب الرسمي اشترك مع الأدب الشعبي في المشافهة حين النشأة. ومع ذلك فهما يختلفان في تلك الظاهرة اختلافا كبيرا وجوهريا. ففي الأدب الرسمي، كانت الرواية تعني: تلاوة النص الأدبي ونقله من شخص الى آخر دون تبديل او تغيير فيه. وإذا كنا نلاحظ اختلافا يسيرا في بعض النصوص الادبية القديمة فمرده الى اختلاف الرواية التي حرص علماء اللغة على تمحيصها نشدانا للصحة والسلامة، لما لتلك النصوص الادبية من صلة وثيقة باللغة التي نزل بها القرآن الكريم وتحدث بها الرسول الأمين، وهما مصدرا التشريع الاسلامي الحنيف. أما المشافهة في الأدب الشعبي، فلها وظيفة غير التي عرفها الأدب الرسمي. لقد كانت أساس نمو الأدب الشعبي ووسيلة انضاجه. فالراوي هنا يعمد الى التغيير عمدا باي صورة من الصور السالف ذكرها ليواكب عصرها وذوق جيله، ثم يورثه جيلا آخر في بيئة أخرى أو عصر تال فيحدث فيه تغيير ثان وثالث، وهكذا.. يصبح اشتراط التوارث والنقل من جيل الى جيل أمرا ضروريا في الأدب الشعبي، لأنه تعبير عن وجدان الشعب وتمثيل صادق لمقوماته الحضارية، ولن يتأتى ذلك الا إذا ترك كل جيل أثره في استكمال نمو الأدب الشعبي.

رابعا: **الخضوع لقانون العمل الفني**: لكل فن من الفنون قواعده التي تنظمه وتصبح مقياس صحته وجودته، ويتبادل مبدعو الفن ونقاده تشكيل هذه القوانين. وقد حظي الادبان الرسمي والعامي بتكوين تلك الاسس، وكانت قبة «النابغة الذبياني» في سوق عكاظ مسرحا تكونت فيه نواة الاسس النقدية للأدب الرسمي، كما تبلورت أسس الأدب العامي في فترة نضجه ما بين القرنين السابع والثامن الهجريين الى حد دعا احد أدباء ذلك العصر هو «صفي الدين الحلي» الى وضع كتاب في هذا الغرض سماه: «العاطل الحالي والمرخص الغالي». ولم يخضع الأدب الشعبي لمثل هذه القوانين، ولم توضع له أصلا. وهذا امر طبيعي ما دامت القوانين تخاطب اشخاصا معينين. وليس الأدب الشعبي عمل فرد بعينه، ومن ثم فانه لم يكن مرتبطا في نشأته بقوانين فنية كتلك القوانين التي يأخذها بعين الاعتبار من يكتب الأدب الرسمي أو ينتج الأدب العامي، ولا يعني ذلك ان الأدب الشعبي لا يخضع لأي قانون فني، فهو ـ بلا شك ـ يستجيب لقيم فنية معينة، ولكنها ليست من وضع النقاد، ولم يرصد الكثير منها حتى يومنا هذا.

خامسا: **بواعث العمل الأدبي**: وهي ذات أبعاد فردية وأخرى اجتماعية ولكنها متداخلة ومتشابكة، ومع ذلك فان هذه البواعث تختلف فيما بين الآداب الثلاثة. فالغنائية المعبرة عن الذات هي أكبر دافع مؤثر في انتاج الأدب الرسمي. وازدهاره ظل مرتبطا، دائما، بازدهار اللغة الفصيحة. وفي مقابل ذاتية الأدب الرسمي نرى الجماهيرية في الأدب الشعبي وحاجات الشعوب النفسية والاجتماعية هي اهم بواعث انتاج ذلك الأدب. وعصور ازدهاره هي عصور انتشار ظاهرة الازدواج اللغوي. وللظروف السياسية دورها الفعال في بواعث كل ادب. ففي عصر السيادة العربية يزدهر الأدب الرسمي، وفي عصور اضمحلال هذه السيادة وضعفها يزدهر كل من الادبين العامي والشعبي. ولهذا الازدهار في مثل تلك الظروف اسبابه التي تشرحها طبيعة هذين الأدبين □

أنا وأنت نملك معجزة.. لا نعرف أبعادها

بقلم: د. محمّد نبهان سويلم / القاهرة

شكل (٣)



شكل (٢)

الغموض الذي يكتنف مخ الانسان قد دفع بالعلماء الى محاولة سبر اغواره، وفهم ابعاده، علّهم يكتشفون يوما اسرار هذه الكتلة الهلامية المودعة في غلاف صلب من الجمجمة. وعلى الرغم من كثرة البحوث والتجارب التي اجريت في هذا الصدد، فان اسرار العقل ما زالت بعيدة المنال، كما ان احدا لم يستطع بعد، الوصول الى القول الفصل في هذا المجال. وكل ما عرفوه، هو مجرد تصورات تؤكدها الظواهر والشواهد احيانا. فالعقل الذي نجح في حل الغاز الذرّة، وفي انزال الانسان على سطح القمر، يظل عاجزا عن كشف اسرار الذاكرة وكيفية التعلم والادراك. فالعقل يشكل تحديا حقيقيا لقدرات الانسان لدرجة ان بعض العلماء أو كثيرين منهم ولا سيما الاطباء اتجهوا نحو دراسة الاعصاب، فأحرزوا انتصارات في تشخيص امراض

الجهاز العصبي والنفسي والشلل الرعاش وبعض امراض الصرع، كما طوروا وسائل لتخفيف الالم والسيطرة على بعض التصرفات. ولكن هذه الانجازات رغم ما اسدته للانسانية من خدمات، ستبدو غاية في الضآلة يوم يتمكن العلماء من بلوغ هدفهم الاعظم وادراك الوظائف الحقيقية للمخ.

ما هو المخ وكيف يتم الاتصال؟

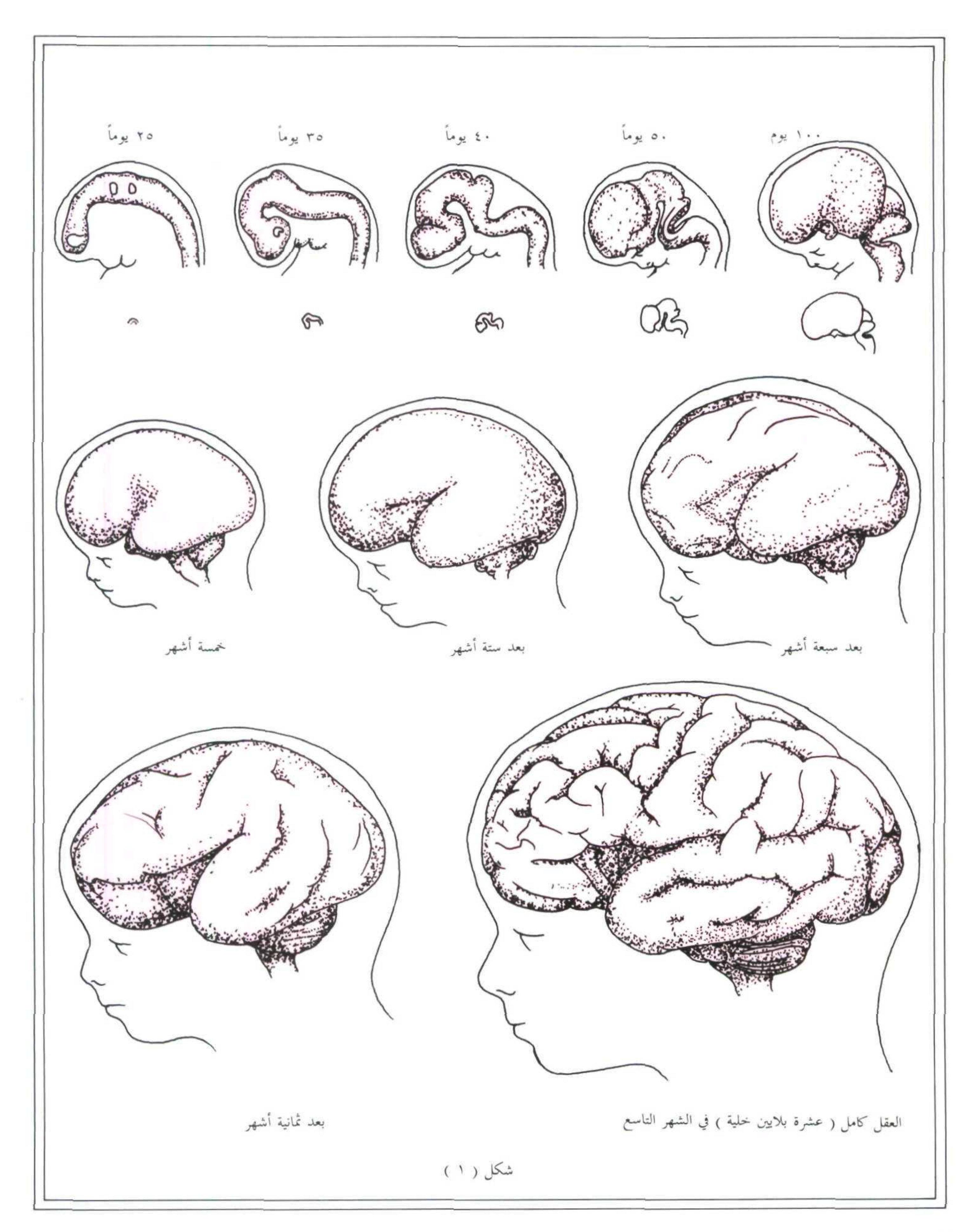
يحتوي مخ الانسان السليم على نحو عشرة آلاف مليون خلية عصبية تبعا لتقدير العالم الامريكي «ناثان كلايين»، وتختلف هذه الخلايا في تركيبها وشكلها العام عن سائر خلايا الجسد. وهي خلايا فريدة الشأن لا تحل محلها خلايا اخرى، كما هي الحال بالنسبة لخلايا الدم الحمر التي تتجدد كل مائة يوم تقريبا. وتمتد من كل خلية من خلايا المخ شعيرات دقيقة توصل كل خلية بالاخرى. ولكن اطراف شعيرات الخلايا المتجاورة لا تتلامس وانما تمر بنبضات كهربية داخل هذه الاعصاب كما يسري التيار الكهربي في اسلاك معزولة. وقد امكن بثلاثة اشياء معرفة هذا التدفق الكهربي كما في الشكل رقم (٢). ففي الشكل المكبر ٥٠٠ مرة تلمح خلايا بصرية من مخ قطة، قطعت بطريقة خاصة، وامكن دراستها بالمجهر. وبفضل صبغ الخلايا واستخدام قطب كهربي من سلك بلاتيني كما في الشكل؛ تم فهم ديناميكية التدفق الكهربي من الخلايا، وثبت بما لايدع مجالا للشك مرور نبضات كهربية داخل هذه الخلايا العصبية، كما لوحظت مواد كيميائية تفرزها بعض الخلايا المسماة بخلايا الغراء العصبي، وهي خلايا تشكل نحو ٩٠٪ من الخلايا العصبية لمخ الانسان، ويبلغ وزنها نصف وزن مخ الانسان، ولا تزال وظائفها الأساسية غامضة، وإنْ ظنَّ العلماء ان هذه الخلايا تلعب دورا في التغذية والتذكر والانفعالات المختلفة للانسان.

والخلايا العصبية ـ Neurons كثيرة كما تبدو في الشكل (٣)، وكل كرة ذات لون برتقالي في الشكل تمثل واحدة من هذه الخلايا مكبرة مائة مرة. ويحتوي جسم الخلية على النواة، التي تمتد منها شعيرات دقيقة مشار اليها في الشكل باللون البرتقالي الباهر عند الاطراف. وهذه الشعيرات تحمل النبضات العصبية الى جسم الخلية. ويمتد من الخلية ليفة عصبية طويلة تسمى « Axon »، تحمل النبض العصبي من جسم الخلية وتنتهي بتفرعات دقيقة تؤدي وظيفة الاتصال، كما يوضحها الشكل (٤).

بدأ الاهتمام بدراسة المخ عام ١٨٤٨م إثر حادثة فريدة تعرض لها أحد عمال مد الخطوط الحديدية في امريكا، عندما انفجرت عبوة صغيرة أدت الى تطاير شظايا قضيب حديدي طوله متر ووزنه ١٣ رطلا فاخترقت شظية عين العامل ونفذت من جمجمته، فطرحته ارضا، فاقدا وعيه، وظن رفاقه انه قضى. ولكن عندما فحصه الطبيب اكتشف انه ما زال حيا، ونقله الى المستشفى حيث امضى ثلاثة اسابيع تماثل بعدها للشفاء. لكنه تحول فيما بعد الى شخص شرس بعد ان كان رزينا هادئا، ولم يستقر به الحال في مكان واحد، فطفق يجوب اراضي القارة الامريكية حتى مات.

ومنذ ذلك التاريخ تجمعت معلومات جديدة عن المخ. فالابحاث في عالم الدماغ تزاوجت مع كل مبتكرات العصر، ففي محاولة لهذا الدمج والتزاوج تم استخدام الطب النووي كواحد من وسائل مراقبة عمل المخ اثناء قيامه ببعض الانشطة مثل الابصار والاتصال الشفاهي بالحديث والتكلم، وفي قياس حالات الصرع، وحساب التوقع العقلاني في ظروف معينة مثل الخوف والجزع، وتتبع تأثير بعض العقاقير على الخلايا والمدركات الحسية للانسان وبالتالي على عقله.

وفي هذا الصدد، توصل العلماء الامريكيون وعلى رأسهم «لويس سوكولوف»، من مركز الصحة الوطني في الولايات المتحدة الامريكية، الى ابتكار جهاز قادر على قياس النشاط البيوكيميائي داخل خلايا المخ دون ثقب عظام الجمجمة أو قطع الانسجة، ويدعى هذا الجهاز جهاز قياس الطيف غير المحوري. وخلال هذه العملية، يستلقي المريض في هدوء مدة تتراوح بين ٢٠ و ٦٠ دقيقة حسب الاجراء العلاجي، ثم تقوم دوائر الكترونية متناهية الصغر موضوعة في دائرة واسعة حول رأس المريض، بقياس كل المتغيرات وتحويل القراءات الى قيم الكترونية تترجم على شاشة شبيهة بشاشة جهاز التلفزيون ـ Cathode Ray Tube. ويعتمد هذا القياس على التحول الغذائي لسكر الجلوكوز كمؤشر للعمل العصبي.



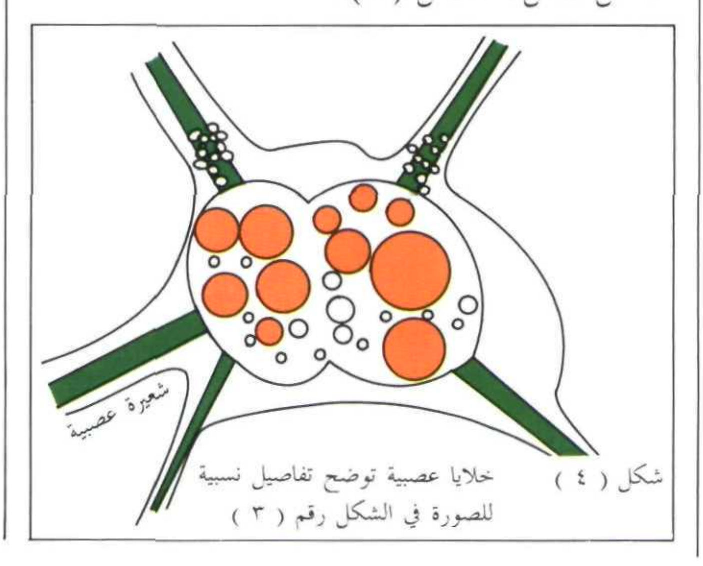
٢٥ يوماً
٣٥ يوماً
٤٠ يوماً
٥٠ يوماً
١٠٠ يوم
خمسة أشهر
بعد ستة أشهر
بعد سبعة أشهر
بعد ثمانية أشهر
العقل كامل (عشرة بلايين خلية) في الشهر التاسع

شكل (١)

وقد قادت هذه التجارب وغيرها الى الكشف عن مناطق الادراك والاحساس والالم والنظر في مخ الانسان والحيوان وعلاقتها بالامراض، على ان اغرب ما اكتشفه العلماء بهذا الصدد هو ان دلالات وصفات وعمل خلايا اجسامنا مسجلة داخل المخاخنا وكأنما المخ عاصمة دولة الانسان تصدر منها الاوامر الى سائر ارجاء الدولة. فلو فرضنا ان انسانا اصيب في المنطقة الواقعة خلف حاسة اللمس، فان الاصابة قد تؤدي الى حدوث اختلال بين قنوات الاتصال القائمة بين الجسم والعقل، فلا يحس المريض بنصفه الايمن او الايسر، وكأن هذا النصف لا وجود له كلية.

الإبصار وعمل المخ

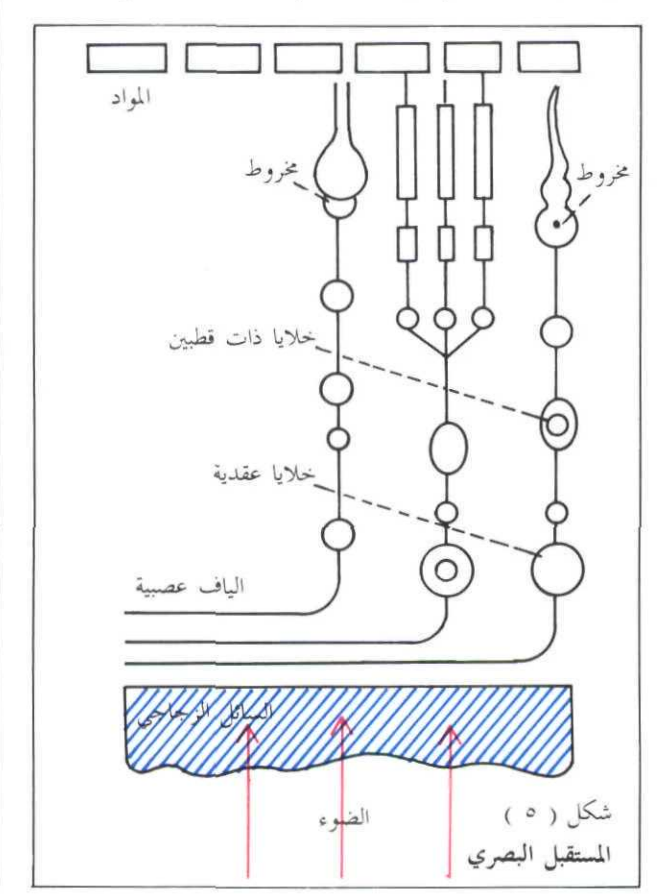
من عجائب المخ، وجود مركز الابصار، فهو ليس مركزا وحيدا بل انه اغرب واعجب منطقة في المخ. فالعين في رأي الكثيرين من ذوي العلم ما هي الا خلايا متقدمة من المخ شأنها شأن مفاتيح ادخال البيانات الى العقول الالكترونية. فهناك خلايا تستشعر شدة الضوء ونصوعه ولونه بدرجاته واطيافه الاساسية والمكملة، وهناك خلايا خاصة تترجم الصورة الحقيقية المقلوبة الى صورة معتدلة مكبرة. ويقوم بهذه الاعمال قرابة عشرة ملايين خلية « Cones & Rods ». فلو نظرنا الى عملية الاتصال المرئي أو الشفاهي التي درسها العالم الامريكي، «روبرت فالويس» بالتعاون مع علماء آخرين، لوجدنا ان احدا من هؤلاء لم يتوصل بعد الى ميكانيكية الاتصال أو التعلم أو خزن المعلومات التي تتم داخل العقل، الشكل (٥).



شكل (٤) خلايا عصبية توضح تفاصيل نسبية للصورة في الشكل رقم (٣)

لقد توصل العلماء الى اكتشاف وسائل علاجية لكثير من الامراض الخطيرة من خلال تركيزهم على دراسة خلايا المخ. ففي دراسة عن اثارة خلايا المخ امكن تتبع استجابة المخ لبعض المتغيرات كالاصوات وومضات الضوء، وقام الحاسب الالكتروني بفرز الاستجابات وتسجيلها من خلال الضجيج الذي يصاحب عادة نشاط الخلايا، وقد اتاحت هذه الطريقة للعلماء استعراض اشكال الموجات والنبضات الكهربية التي ترسلها الخلايا، ومعرفة اشكالها وتحديد قوتها بطريقة لم تكن ممكنة من قبل. ومن خلال هذه الدراسات وغيرها، أدرك العلماء ردود الفعل لدى الخلايا العصبية. ومن الامراض التي تمكن العلماء من كشف اسرارها، مرض الاكتئاب النفسي الذي يعد من اكثر الامراض انتشارا في العالم ولا سيما في الولايات المتحدة الامريكية والدول المتقدمة. ولعل هذا المرض معزو الى نقص بعض البروتينات في خلايا المخ.

وبعد .. فان أحداث الحياة البشرية مخزونة في الذاكرة بطريقة شفرية الكترونية معجزة، تفشل كل الحاسبات الالكترونية في شق غبارها. وصدق قول الحق تبارك وتعالى: ﴿**وفي أنفسكم افلا تبصرون**﴾ □



شكل (٥)
المستقبل البصري

برنامج الموهوبين ومشاركة الآباء

بقلم: محمد عبد الرحيم عدس / الأردن

إن الحاجـات الآنيـة والمستقبلية للموهوبين، واهتماماتهم كذلك تعتبر دافعا لآبائهم للعمل من أجلهم، غير أن صوت المجموعة منهم اقوى وافعل من صوت فرد واحد. ويعتبر المربون أصوات الآباء هؤلاء كأصوات الناخبين، ويمكن لها أن تصبح قوة مؤثرة في المجال التربوي، شأنها في ذلك شأن قوتها في المجال السياسي.

فقد نسمع أحدهم يقول: لقد صنف طفلي في عداد الموهوبين، وأرغب في مساعدته لأفي باحتياجاته الآن وفي المستقبل. وقد يقول آخر: ان ولدي موهوب غير أن المدرسة ليس لديها أي برنامج خاص بالموهوبين. وقد يقول ثالث: ان برنامج المدرسة يحتاج الى تحسين وتطوير وأود لو تتاح لي الفرصة للاطلاع على أنواع أخرى من البرامج حتى أسهم في هذا التطوير.

وقد يهتم أحدهم بمشاكل ولده مـع أنـداده ومعلميه، وواجبه المدرسي، وعدم مبالاته بالوصول الى الحد الذي يقدر عليه في الانجاز. أسئلة وخواطر عديدة يرجو أن يجد لها كل أب جوابا شافيا.

فكيف يتسنى لنا أن نلبي احتياجات الموهوبين من الاطفال في الوقت الذي نحتاج فيه الى معلمين ذوي تأهيل خاص، أو نفتقر الى الأموال اللازمة لذلك؟

ان أحد الحلول الممكنة يكمن في اثارة اهتمام الآباء وفي حفزهم على العمل، وخوض غماره، فقد لا يتوفـر في المدرسة المعينة منهاج خاص للموهوبين، وقد لا يكون لديها الوقت اللازم لبذل عناية خاصة بهم ولذا فقد تكون الوسيلة الوحيدة حينئذ لتلبية احتياجات هؤلاء هي خارج المنهاج، وافضل طريقة واكثرها فعالية لمعالجة هذه الحالة هي اعتماد مساعدة الآباء لتصبح مكملة للمنهاج المدرسي عن طريق التخطيط والاعداد للانشطة والواجبات البيتية التي يمكن تطوير العديـد منها فتثري خبرة الطفل اذا كان الآباء يرغبون في أن يخصصوا بعض وقتهم في المساء لهذا الغرض حيث لا يجد المعلم متسعا من الوقت يصرفه أثناء يومه المدرسي على ذلك، ويمكن لنا أن نستزيد من حماسة الآباء اذا نحن أطلعناهم على مستوى أطفالهم المتفوق، وعلى قدراتهم الفائقة وأوضحنا لهم ان ليس لدينا برنامج خاص لتنمية هذه القدرات التي قد تضيع، وتذهب هباء اذا لم نعمل وبالسرعة الممكنة على اثرائها وتطويرها. وحينئذ سنجد من الآباء نظرة جدية وايجابية لوجهة نظر المدرسة، وسيجدونّ في ذلك

تجربة مثيرة تبعث على التحدي، الذي من واجبنا أن نعمل على استمراره وديمومته.

وقد يعد المعلم أنشطة للطفل مع الارشادات اللازمة للاب توضح له الطريق السليم لمساعدة طفله، وقد أتاح هذا الاسلوب الفرصة للكثير من الآباء في توفير وقت يقضونه مع أطفالهم دون ان يكون في ذلك عبء ثقيل على كاهلهم. وتتنوع هذه الأنشطة بحيث تكون إما فردية أو جماعية أو على شكل مشروع أو بحث، ومن ذلك تكليف الطفل قراءة مجموعة قصصية معينة ومن ثم المقارنة بينها، وبيان خصائص كل منها، واختيار احداها لقراءتها على مسمع من الاطفال، وقد يكلَّف بالاجابة عن أسئلة معينة مثل: هل أحببت بطل القصة: ولماذا؟ ما الاسئلة التي تطرحها عليه لو قدر لك ان تلتقي به؟

وقد تشمل الانشطة المكتبة، والقدرة على استعمال البطاقات فيها واعداد تقويم عن مدى كفاية المكتبة في سد حاجات الأطفال. وقد نَكِلُ اليهم القيام بأنشطة يختارونها بأنفسهم، ما دامت تثير اهتماماتهم وفي مقدورهم القيام بها، أو دراسة بعض الشخصيات الهامة في تاريخنا الماضي والمعاصر، فيتعرفون الى تاريخ حياته، ثم يناقشون أهميته التاريخية، ومركزه في التراث، وخدماته للحضارة الانسانية. ان مشاركة الآباء عامل هام، وعنصر فعال لانجاح مثل هذه الأنشطة وهم مدعوون لتقديم المساعدة اللازمة عند الضرورة، وبالقدر الذي تستدعيه الحاجة. وقد يقوم الآباء بكتابة اجابات عليها عن اطفالهم وبخاصة اذا كانت قدرة هؤلاء في الكتابة ضعيفة، وبهذا يوفرون عليهم الزمن الكبير الذي يستغرقهم لو تولوا هم الكتابة بأنفسهم، ويبعدهم ذلك عن الاحباط الذي قد يتعرضون له، وتتوفر لهم الفرصة للتعبير عن انفسهم بحرية. كما يقدمون لهم المساعدة على امتلاك المهارات اللغوية العامة، فيتأكدون مثلا من أن جملهم تعبر عن معنى تام وليست مبتورة، وان أفكارهم متسلسلة ومترابطة ينتظمها النسق العام ويشجعونهم على ابتكار أفكار أصيلة، وقد يستخدم الطفل الاشرطة لتسجيل ما يقوم به من نشاط ويتفادى بذلك ضعفه في الكتابة، الامر الذي يتيح له أن يتحدث بحرية، وبشكل طبيعي دون أن يخشى الاعاقة وتضييع الوقت نتيجة بطئه في الكتابة.

إنَّ مشاركة الأب لطفله تقوي من علاقة كل منهما بالآخر، وتشيع في هذه العلاقة جوا وُدّيا يحرص كل أب على وجوده، كما ان في ذلك ما يوقف الأب على مشاكل طفله، وعلى نقاط القوة والضعف عنده، والأهم من ذلك على اهتماماته واستعداداته، كما ان في ذلك ما يهيىء فرصة التعاون بين الطرفين وخلق بيئة يستطيع الطفل بها أن يدرك مقدار الأهمية البالغة من جراء مشاركة والديه في تربيته وتعليمه. حاول ان يعيد طفلك القصة التي قرأها بلغته الخاصة، وأن يحدد كلا من المشكلة والاحداث والحل الذي جاء فيها، ثم حاول أن يجد حلا آخر غير الذي ذهب اليه الكاتب تبعا لتغير مجرى الأحداث، وأن يجد عددا من البدائل والحلول بعد مناقشة الافتراضات الموجودة، ثم ناقش معه اوجه الوفاق او الاختلاف بين قصة واخرى. ساعده على ان تكون لديه صورة واضحة عن الفترة الزمنية التي عاش فيها بطل القصة، وأهم الاحداث التي مرت في حياته، والاشخاص والمواقف التي احتوتها، والصعوبات التي تغلب عليها البطل. ثم حاول ان يكون له رأيا خاصا به، وان يتعرف الى الكلمات والعبارات الجديدة التي مرت به وعلى مزايا القصة الفنية.

انك ان فعلت ذلك فستجد طفلك قادرا على القيام بنشاط مماثل دون معونة من احد، وعلى الاستمتاع بالفرصة التي يتعلم فيها من زملائه في الصف، وان يقرر النوع الادبي الذي تنتمي اليه القصة وقراءتها قراءة معبرة، وبطلاقة. ومن الأهمية بمكان ان نتيح للآباء الفرصة في الاسهام باعداد برنامج خاص للطفل، شأنه في ذلك شأن المعلم، والتربويين من غير اعضاء الهيئة التدريسية.

ان النتيجة الهامة من مشاركة الآباء هو حصول الوعي التام بدورهم في تربية ابنائهم وتنمية مواهبهم وفي ابراز المسؤولية المشتركة في تربية الطفل بين البيت والمدرسة. فالخبرة المشتركة بين البيئتين لها تأثيرها الهام في نمو الطفل وتطوره الى الحد الاقصى الذي يمكننا ان نبلغه.

إنَّ أي برنامج لتربية الطفل يجب ان يأخذ في اعتباره المستويات التربوية الحالية، والاهداف البعيدة والقريبة التي نسعى لتحقيقها

والاجراءات التخطيطية اللازمة لتنمية قوى الطفل الفريدة وتطورها. ان التركيز على المعرفة وتراكم المعلومات أمر عقيم والاصرار على هذا الاتجاه يميت رغبة الموهوب في التعلم وفي البحث والاستكشاف وان كان من المسلَّم به ان اكتسابه حصيلة من المعلومات الأساسية أمر ضروري اذ لا يمكن لأي فرد أن يكتسب مهارة التركيب أو التحليل أو التقويم ما لم يكن عنده أساس معقول من المعرفة والمعلومات، ولا بد لأي برنامج مهما كان ولأي فئة كانت من أن يضم محتوى في مجال ما، ويمكن لنا من خلاله أن ننمي عند الطالب القدرة على التفكير الناقد، واتاحة الفرصة لتنظيم المعلومات بشكل يعين على اكتساب المهارات، وباحتمال أقوى من بقائها مجرد حقائق متناثرة تجمعها الصدفة، ولا ينتظمها التوافق والانسجام. ثم ان أي برنامج لتربية الموهوبين يجب أن يضع مصلحة الطالب في المقام الأول. ولذا كان اعتماده على افرادية التعليم قويا حتى يتسنى له ابراز مواهب الفرد وتنمية قدراته، وحتى لا تضيع في خضم التعليم الجمعي.

ومن المهم أن نعتني بالمهارات التي تأخذ بيد قدرات الطفل للوصول بها الحد الاقصى مثل مهارة حل المسألة والاعتماد على النفس، والقدرة على التنظيم، لانها تساعده في استخدام قدراته الاكاديمية استخداما تاما. ولن يكون في مقدور أي منا أن يصل بقدراته الى الحد الاعلى عن طريق الضغط أو الاكراه أو كان المستوى الذي يعمل فيه دون الحد الذي تؤهله له هذه القدرات فالموهوب شأنه شأن سائر الطلاب الآخرين يجب أن يعمل ضمن مواقف يجد فيها التحدي والاثارة التي لا تؤدي الى الاحباط، أو الى درجة من الانجاز دون المستوى الذي يرضى عنه، وكل ما يجب أن يبقى ماثلا في الاذهان هو أن نهيىء للموهوب بيئة يجد فيها مستوى أعلى مما تجده احتياجات العاديين من الاطفال.

ان العديد منا يعتقد خطأ ان مجرد الزيادة في العمل، والاكثار منه فيه حل لمشكلة الموهوبين بغض النظر عن طبيعة هذا العمل وعلى مستواه، أو ملاءمته لاحتياجاته.

واعتمادا على طبيعة التفوق عند الطفل، وعلى نوعية موهبة التفوق هذه فان دمج الموهوب في صف منظم وتدريسه دروسا منظمة قد لا يكون دوما الهدف الاكثر ملاءمة له، باعتبار هذا التنظيم أكثر ملاءمة للطلبة ذوي المستوى العادي، وليس للموهوبين. أما بالنسبة للطفل المعوق فالمطلوب من البرنامج هو العمل على رفع مستوى هذا الطفل ليصبح في المستوى العادي، ومعنى هذا ان نعمل على تقليل اثر القصور عنده الى الحد الادنى، بينما المطلوب بالنسبة للموهوب هو استغلال طاقاته الى الحد الاقصى الذي تتيحه له هذه الطاقات. ومن هنا فان أي نظام ثابت يتبع مع هؤلاء قد لا يكون الوسيلة الأكثر ملاءمة لتنمية هذه الطاقات.

إنَّ معلم الطلبة العاديين قد يفتقر الى التدرب والى نوع من استراتيجية التعلم اللازمة للطلبة الاذكياء، وقد لا تتوفر لديه الطاقة الاصيلة التي يستوجبها التعدد في الحالات. وهو يحتاج مع الموهوبين الى ان ينمي مواهبهم ويعمل على تغذيتها واثرائها بالعديد من المواقف التي تعمل على تقويتها، وقد لا يتأتى له هذا حين يكون الموهوب في صف عادي يتلقى برنامجا عاديا، وعلاوة على ذلك فنحن نتوقع من التفرد في التعليم ان يسير الموهوب بشكل اسرع مما يسير به الوسط العادي، ولذا فنحن نتوقع من الصف العادي أن لا يلبي احتياجاته، وقد يصبح بيئة تحد من نمو قدراته بدلا من تقويتها، وعليه فان صفا خاصا او برنامجا خاصا موازيا يتمشى مع المنهاج العادي أو خارجه قد يصبح البيئة الاقل قيودا لهذه القدرات وتنميتها والفرق بين الطفل الموهوب والطفل العادي هو بمقدار الفرق بين هذا وبين الطفل المتخلف عقليا.

وما دمنا نعمل على ايجاد ما من شأنه أن يعالج الاحتياطات الخاصة بكل وسيلة حسب القصور المتبدي عنده، كان علينا ان نعمل على تصنيف الموهوبين وتلبية احتياجات كل منهم حسب موهبته الخاصة. كذلك فلقد دأبنا على توجيه الانتباه بالدرجة الاولى الى القضايا التي تتطلب العلاج والتركيز على سد النقص الموجود، وآخر ما نهتم به هو حاجات الأطفال الذين نتوقع منهم مستوى رفيعا في الانجاز.

لقد سلط البرنامج الافرادي التربوي الاضواء على هذه الحقيقة فاتاح الفرصة للذكي اللامع من الاطفال ليحظى بنوع من التربية والتعليم أعدته له طبيعته وأصبح مخولا له فلسفيا وقانونيا □

عودة الرّبيع

شعر: خليل خلايلي / الباحة

أحبيتي عـاد الربيـع ونحن موعدنـا الربيـع
والكون يغمره الشذى فعلامَ عطرك لا يضوع
الأقحـوان على دروب الأمس مؤتلق بديـع
والنرجس الجبلي في حضن السفوح له هجـوع
يحكي الذبـول بمقلتيك اذا استبد بك الخضـوع
وأنا أشيـح بناظريَّ كأنني طفـل رضيـع
قلبي تمزقـه الوساوس فهـو من ألـم صريـع
ذابت جوانحه هـوى وتكسّرت حتى الضلوع
في كل ناحيـة لـه مزق تغيّب أو تـروع
فعلام يا أخت الملائـك لا يثور بك الرجوع؟!

★ ★ ★

بالأمس أشعلت الشموع وأنت تعشقك الشموع
وسهرت طول الليل تخنقني مع النجوى الدموع
والكأس جف شرابهـا واللحن منتحب وجيـع
وتظل تأكلني الهمـوم وليس عندك لي شفيـع
أبدا تذوب حشاشتي قهرا ويفضحني النجيع
فعلام يا أخت الملائك لا يثور بك الرجـوع ؟!

أنا ملـك عينيـك اللتين لسحر لجّهما أجـوع
وعلى حـدود اللازورد حبيبتي أنا كم أضيـع
إن تاهَ زورق حبنا زمنـاً فمرسانا سريـع
وغـدا على هـذي الديـار سيورق الحب الرفيع
فعـلامَ يا أخت الملائك لا يثور بك الرجوع ؟!

★ ★ ★

أنا سندبـاد العصـر يا أملـي وفارسك المنيـع
لا أشتري أبـدا ودادك بالصغـار ولا أبيـع
لكنمـا ان تنظري نحوي فسحرك بي يشيـع
يحتـل أعصـابي ويتلف مهجتي الحـدق الوسيع
فأصـير كالمجنـون اذ ضاقت بحالته الربـوع
فعـلامَ يا أخت الملائك لا يثور بك الرجوع ؟!

★ ★ ★

يا حـلوتي هذا زمـان الحب يعرفه الجميـع
قد طـال ليلي والسـهاد فآن يا قمري الطلـوع

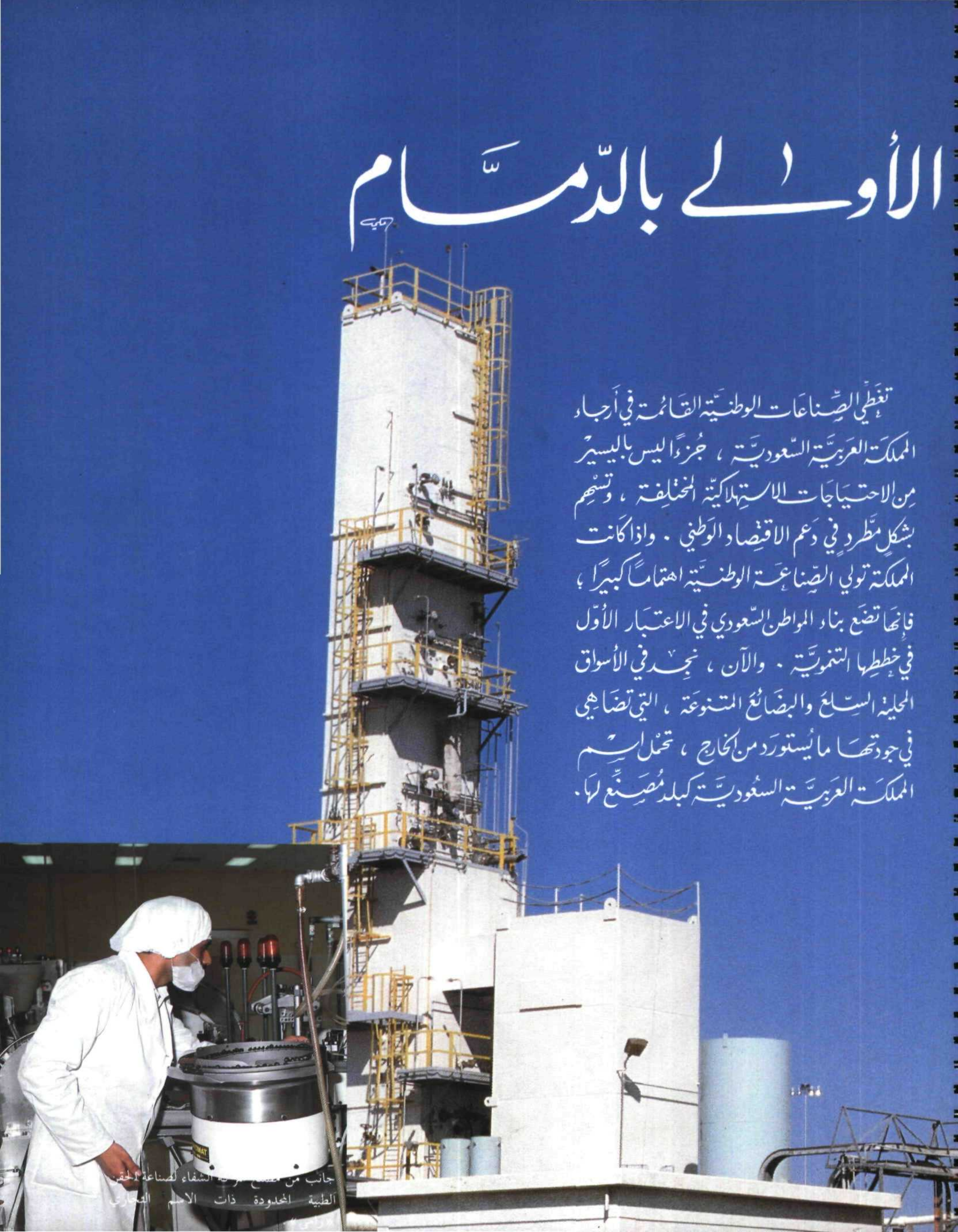


المدينة الصِّناعيّة

سليمان نصر الله / هيئة التحرير

الجودة والنكهة اللذيذة شعار منتجات مصنع الافندي للألبان ، ومشتقاتها .

تفحص اجزاء المكيفات في مصنع الزامل بدقة متناهية .



الأولى بالدّمام

تغطي الصّناعات الوطنيّة القائمة في أرجاء المملكة العربيّة السّعوديّة ، جزءًا ليس باليسير من الاحتياجات الاستهلاكيّة المختلفة ، وتسهم بشكل مطرد في دعم الاقتصاد الوطني . واذا كانت المملكة تولي الصّناعة الوطنيّة اهتمامًا كبيرًا ، فإنها تضع بناء المواطن السّعودي في الاعتبار الأوّل في خططها التنمويّة . والآن ، نجد في الأسواق المحليّة السّلع والبضائع المتنوعة ، التي تضاهي في جودتها ما يُستورد من الخارج ، تحمل اسم المملكة العربيّة السّعوديّة كبلد مُصنّع لها .

جانب من مصنع شركة الشفاء لصناعة الحقن الطبية المحدودة ذات الاسم التجاري

تشهد المملكة العربية السعودية انطلاقة كبرى في القطاع الصناعي، بعد أن هيأت له الدولة أسباب النمو والتوسع، بفضل ما يسرت له من حوافز وامكانات. فالسياسة الصناعية في المملكة تتوخى تنويع القاعدة الاقتصادية، من خلال التوسع في قطاع الصناعات غير النفطية بهدف زيادة مصادر الدخل القومي. من هنا راحت تنتج سلعا متنوعة تشمل المواد الغذائية، والمنسوجات ومنتجات الجلود، والاثاث، ومنتجات البلاستيك، ومنتجات الورق والطباعة والنشر، والمنتجات الكيميائية، ومواد البناء، والمنتجات المعدنية، والاجهزة والمعدات الكهربائية والهندسية، ومعدات ولوازم النقل، الى غير ذلك من المنتجات الصناعية الوطنية المتعددة.

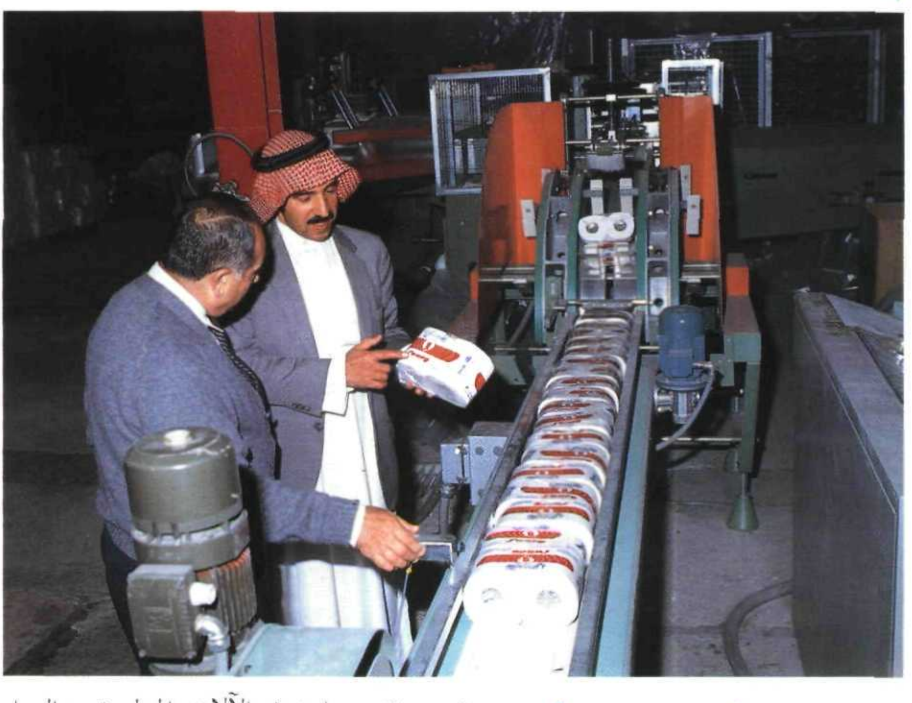
جولة في المدينة الصناعية الأولى بالدمام

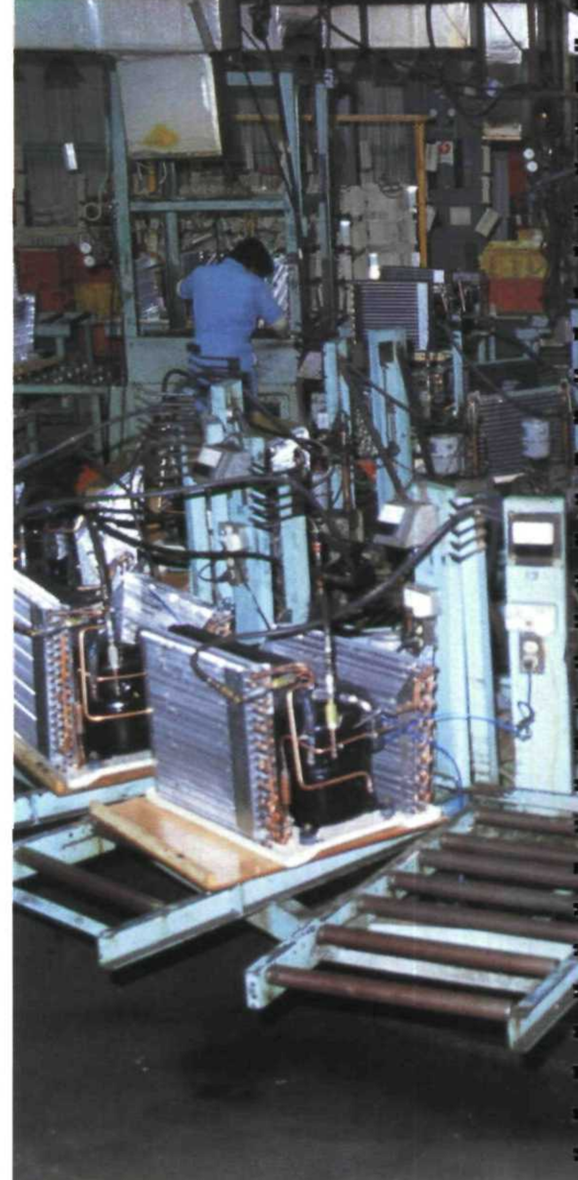
قصدنا إدارة المدينة الصناعية الاولى بالدمام واستقبلنا الاستاذ زكي ابراهيم البلال، رئيس قسم الاتصالات الادارية والتفتيش. ولما كانت زيارة جميع المصانع القائمة في المدينة الصناعية متعذرة، فقد اخترت بعض المصانع التي تنتج سلعا متنوعة، لاعطاء القارىء فكرة عن بقية المصانع التي تضمها هذه المنطقة. وقد أتيحت لنا الفرصة للوقوف على كيفية انتاج العديد من المنتجات الصناعية.

مصنع الزامل للمكيفات

دخلنا أقسام المصنع حيث رافقنا في جولتنا المهندس فواز بيطار، مدير القسم الهندسي، وشرح لنا عملية تصنيع وحدات التكييف المتنوعة ومراحل انتاجها. والتقينا بالاستاذ احمد الزامل، مدير عام المصنع، الذي بادرنا بقوله: «ارجو ان تكونوا قد أعجبتم بمصنعنا هذا، كما آمل ان تحوز مكيفاتنا على رضا عملائنا داخل المملكة وخارجها». وحول سؤال لنا عن تأسيس المصنع قال: «لقد جاء تأسيس هذا المصنع عام ١٩٧٤م، إثر جهود مكثفة. وهو يقوم على مساحة تبلغ نحو مائة الف متر مربع، ويتولى تصنيع مجموعة متكاملة من وحدات التكييف بحيث يتسع خط الانتاج ليشمل بالاضافة الى وحدات الغرف اكثر من مائتي نوع وشكل من وحدات التكييف المركزي. وقد صممت هذه المكيفات خصيصا لتتناسب وطبيعة المناخ بالمملكة العربية السعودية ومنطقة الخليج والشرق الاوسط، وتشمل مكيفات الغرف، والمكيفات المجزأة الصغيرة — Split Units، والمكيفات المركزية على اختلاف انواعها واحجامها، ومكيفات الهواء التبادلية — Chillers. ويقوم المصنع باستيراد الضواغط والمحركات الكهربائية للمكيفات، بالاضافة الى المواد الخام التي تتطلبها عمليات التصنيع. وتبلغ طاقة المصنع الانتاجية نحو ١٨٠٠٠٠ مكيف للغرف سنويا، بالاضافة الى ما يربو على ١٢٥٠٠ مكيف مركزي. وتتراوح قوة الوحدات التبريدية المنتجة ما بين ثلاثة أرباع الطن و ٣٥٠ طن تبريد. ويتم تصريف معظم الانتاج في السوق المحلية عبر شبكة من الفروع في معظم انحاء المملكة علاوة على عدد كبير من الموزعين المعتمدين. ويضم مصنع الزامل للمكيفات فريقا من الخبراء والمهندسين القادرين على تصميم أنظمة تكييف خاصة بمختلف الأحجام لتلائم احتياجات العملاء.

وفي ختام جولتنا في المصنع، قال الاستاذ احمد الزامل: «نظرا للتطور المستمر الذي يجري على خطوط الانتاج فانه يوجد لدينا برنامج تدريب على رأس العمل، يتم





١ ــ خط تجميع مكيفات الغرف في مصنع الزامل.

٢ ــ الاستاذ عبدالله صالح بوسبيت، الشريك المقيم لمصانع البلاستيك والورق «فابكو»، في جولة مع الاستاذ سليمان نصرالله، كاتب المقال، في مصنع الورق.

بموجبه توظيف الايدي العاملة السعودية تحت اشراف فنيين متخصصين لتدريبها في جميع المجالات سواء كان ذلك في خطوط الانتاج او في ورش الصيانة والخدمات. ونحن نأمل مستقبلا في سد حاجة المملكة من المكيفات ذات الجودة العالية والحد من استيراد المكيفات من الخارج، محققين بذلك الاسهام في دعم الاقتصاد الوطني.

مصانع البلاستيك والورق "فابكو"

يملك هذه المصانع السيدان عبدالله فؤاد وعبدالله صالح بوسبيت، وقد انشئت في مطلع عام ١٣٩٦ هـ، وراح انتاجها يتدفق الى الاسواق المحلية في جميع انحاء المملكة. وقد حدثنا الاستاذ عبدالله صالح بوسبيت عن أهمية صناعة البلاستيك والورق بالنسبة للمملكة، فقال: «سارت المملكة العربية السعودية بخطى واسعة على طريق التنمية المستقلة في كافة الميادين الاقتصادية والاجتماعية. وتقتضي الحقيقة ان نقول انه بالرغم من قصر الفترة الزمنية للنهضة الاقتصادية في بلادنا؛ فان الصناعة كانت موضع اهتمام حكومتنا الرشيدة والمواطنين منذ البداية. وقد تولت الدولة مسؤولية اقامة البنية الاساسية اللازمة للنهضة الصناعية حتى اصبح لديها الآن قاعدة صناعية متطورة ذات طاقات انتاجية ضخمة. وكان لنا نصيب في الاسهام الفعلي في مجال الصناعات البلاستيكية والورقية لما لهما من اهمية في التنمية الشاملة. فمن ناحية نجد ان المشروعات الضخمة للاسكان والخدمات، وكذا التنمية الزراعية التي اشتملت عليها خطط التنمية الطموحة عبر السنوات الماضية تتطلب تلك المنتجات من انابيب البلاستيك لمياه الشرب والمجاري والانظمة الحديثة في الري بالتنقيط. ونحمد الله ان وفقنا في هذه المنتجات مستخدمين احدث الآلات المتطورة، والعمل دوما على اكتساب المهارات الفنية، واستيعاب التكنولوجيا الحديثة وتطويعها بشكل يسمح بزيادة الكفاءة الانتاجية واستمرار النمو والتقدم. كما ان المنتجات الورقية من المناديل والفوط الصحية، كانت هي الاخرى علامة على طريق التقدّم والتطوّر في بلادنا بعد ان كنا في السابق نعتمد اعتمادا كليا على استيرادها من الخارج.

وتبلغ طاقة مصنع البلاستيك ١٠٠٠٠ طن سنويا وسترتفع الى ٢٠٠٠٠ طن بعد اكمال مشاريع التوسعة الجارية حاليا. أما مصنع الورق فينتج ستة ملايين علبة من المناديل سنويا، و ٥٠ مليوناً من الفوط الصحية، وسترتفع هذه الكمية لتصل الى ١١٥ مليوناً بعد اكمال التوسعة، و ٨٠ مليوناً من مناديل السفرة و ٦ ملايين لفة من ورق المطابخ. ويتم تصريف المنتجات الورقية، إما مباشرة لتجار الجملة عن طريق مندوبي مبيعات الشركة بالمركز الرئيسي والفروع، وإما لتجار نصف الجملة والمفرق عن طريق بائعين موزعين تابعين للشركة وفروعها منتشرين في مناطق المملكة. أما المنتجات البلاستيكية فيتم تسويقها في الوزارات والمؤسسات الحكومية وشركات المقاولات الوطنية والاجنبية وتجار الجملة.

ولدى سؤال الأستاذ عبدالله بوسبيت عن التطلعات المستقبلية قال: «اننا نتطلع الى



زيادة الانتاج وتنويعه وتطويره اولا بأول باستيعاب التقنية الحديثة وتطويعها بشكل يسمح باستمرار النجاح والتقدم، وفتح أسواق جديدة امام المنتجات الصناعية الوطنية من الورق والبلاستيك، وايجاد درجة مقبولة من الاكتفاء الذاتي للمنتجات البلاستيكية والورقية بالمملكة، وزيادة اسهام العمالة الوطنية في هذا القطاع الهام من الصناعة الوطنية.

شركة المطلق لصناعة الأثاث

قامت صناعة الأثاث في المملكة العربية السعودية لتواكب الطفرة العمرانية في جميع انحاء البلاد، فقد خطت هذه الصناعة خطوات واسعة وبلغت مستوى جيدا في فترة زمنية قياسية. ولدى زيارتنا لشركة المطلق لصناعة الأثاث استقبلنا الاستاذ جهاد نظمي سليمان اسعد، المدير التجاري، حيث رافقنا في جولة سريعة حدثنا خلالها عن تأسيس المصانع وعمليات التصنيع ومراحل الانتاج في الاقسام المختلفة. يملك هذه الشركة الشيخ عبدالمحسن المطلق والشيخ مطلق العبدالله المطلق، وتضم ثلاثة مصانع يكمل بعضها بعضا. اما المصنع الاول فهو مصنع الأثاث المنجد الذي اقيم عام ١٣٩٤هـ على ارض مساحتها ١٢٠٠٠ متر مربع، وينتج الأثاث المنجد بأنواعه والاسفنج الصناعي، حيث تبلغ طاقته الانتاجية السنوية ٣٥٠٠ طقم كنب و ٣٠٠٠ طن من الاسفنج، وهذه الطاقة قابلة للزيادة. ويشتمل هذا المصنع على اقسام عديدة منها، قسم انتاج بلوكات الاسفنج والقوالب، وقسم قص وتحوير الاسفنج، وقسم الحدادة، وقسم النجارة، وقسم الحياكة والتفصيل والتنجيد، وقسم مراقبة الجودة، وقسم الصيانة، وقسم التصاميم بالاضافة الى غرف الدهان، والتجفيف والصقل.

لقد قام هذا المصنع بالتعاون مع المصانع الاخرى بتنفيذ عقود تأثيث وحدات سكنية كاملة لبعض المؤسسات الحكومية ولشركات المقاولات، بالاضافة الى تزويد معارض الاثاث الوطنية بتشكيلة متنوعة من الاثاث تضاهي بجودتها وأسعارها المنتجات الاجنبية المستوردة.

أما المصنع الثاني فهو مصنع المراتب الذي يقوم على ارض مساحتها ٤٠٠٠ متر مربع، وتبلغ طاقته الانتاجية الحالية القابلة للزيادة حوالي ٦٠٠٠٠ مرتبة سوست (زنبرك) سنويا، و ٤٠٠٠٠ سرير منجد، و ١٠٠٠٠٠ مرتبة اسفنج.

أما المصنع الثالث فهو مصنع الاثاث الخشبي الذي ينتج الاثاث الخشبي بطاقة انتاجية تبلغ ٢٦٠٠٠ غرفة طعام، و ٩٠٠٠ غرفة جلوس، و ٥٠٠٠ غرفة نوم و ٣٠٠٠ مكتبة. ولدى المصنع القدرة على انتاج اي

نوع من الأثاث الخشبي حسب المواصفات المطلوبة. ونظرا لجودة الاخشاب المستخدمة والموديلات المبتكرة فقد لاقت منتجات شركة المطلق الاعجاب من العملاء وأصحاب معارض الاثاث في المملكة.

ولدى شركة المطلق نحو عشرين معرضا تتولى أعمال المبيعات في انحاء المملكة. وتتطلع هذه الشركات الى توعية المواطن بأهمية الصناعة الوطنية في بناء اقتصاد المملكة، وحمايتها من منافسة البضائع المستوردة.

شركة الصّناعات الكيميائية للبناء المحدودة

تحظى صناعة البناء في المملكة بالنصيب الأوفى بين الصناعات الوطنية، وذلك لمواكبة الحركة العمرانية النشطة في المملكة. فهناك اليوم مصانع الخرسانة الجاهزة، والطابوق، والبلاط، والسيراميك، والاسمنت، وحديد التسليح، والانابيب، وغير ذلك من مواد البناء التي لا تقع تحت حصر. وللوقوف على جانب من هذه الصناعة المتنامية قصدنا مصنع شركة الصناعات الكيميائية للبناء المحدودة، حيث رافقنا في جولتنا في ارجاء المصنع السيد احمد تمر نصر، مدير الحسابات، واعطانا فكرة عن انتاج المصنع. وقد تأسست هذه الشركة عام ١٣٩٦هـ لصناعة بلاط بي في سي ــ ٧٢ أ البلاستيكي للارضيات وما يلزم ذلك من مواد لاصقة، ومواد تسوية الارضيات. وتبلغ طاقة الانتاج ٤٠٠ ألف متر مربع من بلاط الفينيل. ويحتل المصنع ارضا مساحتها ١٠٠٠٠ متر مربع خصص منها جزء للمصنع وجزء لتخزين المواد الجاهزة. وقد تمت توسعة المصنع على مراحل كما تم تنويع انتاجه بحيث اصبح ينتج في الوقت الحاضر بفضل المعدات الحديثة ما يربو على مليون متر مربع من بلاط الفينيل سنويا بالاضافة الى مواد كيميائية متنوعة.

الجدير بالذكر ان جميع المنتجات يتم تصنيعها بموجب تراخيص من شركات اوروبية وامريكية مطابقة للمواصفات العالمية لهذه المواد. ويتم فحص المنتجات يوميا في مختبر الشركة تحت اشراف مهندسين كيميائيين لتأمين جودة الانتاج. ويقوم المصنع بتسويق منتجاته في الاسواق المحلية ودول مجلس التعاون





١ ــ في مصنع البلاستيك التابع لشركة «فابكو» الاستاذ عبدالله صالح بوسبيت يطلع الاستاذ زكي ابراهيم البلال، رئيس قسم الاتصالات الادارية والتفتيش في ادارة المدينة الصناعية الاولى بالدمّام، على بعض منتجات مصنع البلاستيك.

٢ ــ طقم غرفة طعام من انتاج شركة المطلق لصناعة الاثاث.

٣ ــ جانب من مصنع المطلق للأثاث.

٤ ــ عملية انتاج بلاط الفينيل في مصنع شركة الصناعات الكيميائية للبناء المحدودة.



مقابلة مع

مدير إدارة المدينة الصناعية الأولى بالدمام

سعادة الأستاذ عبدالله السعد السليم





مبنى ادارة المدينة الصناعية الاولى بالدمّام .

عقب جولتنا في عدد من المصانع القائمة في المدينة الصناعية الاولى بالدمام، كانت لنا مقابلة مع سعادة الاستاذ عبدالله السعد السليم، مدير ادارة المدينة الصناعية الاولى بالدمام، ودار الحديث على الشكل التالي :

★ بودنا لو تتكرمون باعطائنا فكرة عن تاريخ انشاء المدينة الصناعية الاولى بالدمام، وتطورها ومساحتها، ومرافقها، والمصانع المنتجة فيها .

— ضمن اطار اهتمام الدولة بتوفير التجهيزات الاساسية التي يحتاج اليها القطاع الصناعي، بهدف دفع عجلة التصنيع، تم انشاء المدن الصناعية في المملكة باعتبارها احدى الوسائل الاساسية لدعم النمو الصناعي في المملكة، حيث تتاح لأصحاب المشاريع الصناعية الراغبين في دخول الحقل الصناعي، والحاصلين على تراخيص من وزارة الصناعة والكهرباء لاقامة مشروعاتهم فرص الحصول على الاراضي اللازمة لانشاء مصانعهم عليها . وهذه المدن مجهزة بكل المرافق التي تحتاج اليها المصانع، كالطرق المعبدة، والماء، والكهرباء، وشبكات المجاري وتصريف مياه السيول، وشبكات الاتصالات الهاتفية والتلكس، والبنوك، ومكاتب البريد، ومراكز الشرطة والدفاع المدني، والمساجد، والمطاعم، والمستوصفات العلاجية . وتقسم كل مدينة صناعية الى قطع ذات مساحات متفاوتة لتستوعب المصانع المختلفة، بالاضافة الى قطع اراض تخصص لاقامة مساكن لعمال المنشآت الصناعية .

والمدينة الصناعية الاولى بالدمام تعتبر من المدن الصناعية القديمة في المملكة . فهي ثالث أقدم مدينة صناعية في المملكة بعد المدينة الصناعية في الرياض والمدينة الصناعية في جدة، ويمكن القول بأن انشاء هذه المدن الصناعية جاء متزامنا تقريبا . فقد بدأت اعمال الانشاء ولا سيما المباني الادارية عام ١٣٩٠ هـ، وبدأنا بتوزيع الاراضي المحيطة بمبنى الادارة عام ١٣٩١ هـ كجزء من المرحلة الأولى، ثم تلتها المرحلة الثانية فالثالثة، حيث بلغت المساحة الاجمالية للمدينة ٢٢١٧٤٤١ مترا مربعا تضم ٣٢٠ قطعة يقوم عليها ٩٧

مصنعا منتجا. وهذه المصانع لها انتاج متنوع تشمل المواد الغذائية، والورق، والطباعة، ومواد البلاستيك، ومنتجات الالمنيوم، والأجهزة الكهربائية، والموبيليات والاثاث، والمواد الكيميائية، والاسمنت، والرخام، والمنتجات المعدنية، والمواد العازلة، وقطع غيار السيارات كالشكمانات، والرديتيرات، والقلابات، والتريلات، وغيرها.

لقد أصبح لدينا مصانع كبيرة رائدة في مجالها، اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: مصنع الزامل للمكيفات، و «الوبكو» لمنتجات الالمنيوم، ومصانع الأصباغ، ومواد



البناء. ومن المتوقع ان ينشأ في المدينة الصناعية نحو ١٥ مصنعا في السنتين القادمتين، وتوسعة بعض المصانع القائمة. وباختصار شديد يمكن القول بأن المدينة الصناعية الاولى قد خدمت الاغراض التي انشئت من اجلها.

★ ما هي الخدمات التي تقدمها ادارة المدينة الصناعية للشركات والمصانع القائمة في المدينة؟

— ادارة المدينة الصناعية هي حلقة الوصل بين المصنع واية جهة حكومية، وبين مصنع وآخر. فالادارة تسهل لاصحاب المصانع الاجراءات لانشاء المصانع، فضلا عن متابعة تنفيذ المشروعات المرخصة، ومحاولة ايجاد حلول لما قد يعترض المصانع من مشاكل ابتداء من تقديم الارض لصاحب المصنع وانتهاء بتشغيل المصنع والبدء بالانتاج.

★ ما مدى حماية المنتجات الصناعية المحلية من منافسة السلع والمنتجات الاجنبية المماثلة؟ هل هناك سياسة محدّدة لحماية المنتجات المختلفة أو أية اجراءات معينة؟

— لدى الدولة نظام لحماية وتشجيع الصناعات الوطنية، روعي فيه مصلحة المستهلك وصاحب المصنع على حد سواء. فالحماية بصورة عامة تتوقف على الطاقات الانتاجية للمصانع، وجودة المنتجات الوطنية وأسعارها وأهميتها بالنسبة للاقتصاد الوطني. وحماية المنتجات الصناعية الوطنية هي نوع من الحوافز التشجيعية التي تقدمها الدولة لأصحاب المصانع لرفع مستوى جودة منتجاتهم. وهناك حوافز تشجيعية كثيرة نذكر منها تقديم الاراضي باجور رمزية، وتقديم القروض الميسرة عن طريق بنك التنمية الصناعية السعودي، والاعفاءات من الرسوم الجمركية للآلات، والادوات، والأجهزة، وقطع الغيار المستوردة للمؤسسات الصناعية، والمواد الخام الاولية، واكياس وعلب واسطوانات التعبئة اللازمة للمصانع. أضف الى ذلك ان الافضلية المطلقة تعطى للمنتجات الوطنية في المشتريات الحكومية ومشتريات الشركات والمؤسسات المتعاقدة مع الحكومة.

★ هل تعمل المصانع القائمة في المدينة الصناعية الاولى بالدمام حاليا بكامل طاقتها الانتاجية؟

— الحقيقة ان معظم المصانع التي انشئت في المدينة الصناعية قد رفعت طاقاتها الانتاجية عبر السنين، مرات ومرات، وان دل هذا على شيء فانما يدل على مدى تقبل المواطن السعودي لهذه المنتجات الوطنية.

★ ما هي الصناعات التي ترون أن قيامها حاليا مُجْدٍ من الناحية الاقتصادية في المنطقة الشرقية؟ وما دور وزارة الصناعة والكهرباء في ترشيد المستثمرين في القطاع الصناعي؟

— إن قيام أي صناعة جديدة في المنطقة الشرقية ممكنٌ باعتبار ان المجال الصناعي في المملكة مفتوح وواسع، وأصحاب الأموال يملكون زمام المبادرة في هذا الامر، ويساعدهم في تقرير الجدوى الاقتصادية لأي مشروع يفكرون في اقامته، هيئات استشارية حكومية وأهلية. وانا اعرف الكثيرين من رجال الاعمال السعوديين الذين يتمتعون بحس صناعي ورغبة اكيدة في خوض مجال التصنيع، فكانوا يتحرون السلع التي يستوردونها بأنفسهم ثم يعقدون العزم على تصنيعها في المنطقة، ونجحوا نجاحا باهرا.

★ الملاحظ أن هناك فئات كثيرة من الناس في المملكة وفي الخارج لا تعرف عن المنتجات الصناعية الوطنية. فما هي السبل الكفيلة بالتعريف بهذه المنتجات وترويجها؟

— وزارة الصناعة والكهرباء وغرف التجارة والصناعة لم تألُ جهدا في توجيه الانظار الى المنتجات الصناعية المحلية، عن طريق اقامة المعارض، وعن طريق وسائل الاعلام المتاحة من صحافة وتلفزيون واذاعة، وتنظيم اسابيع المنتجات الصناعية الوطنية. وارى ان دور اصحاب المصانع فيما يتعلق بهذا الموضوع محدود، وحبذا لو يقومون بالدعاية لسلعهم بأساليب متنوعة لترويج هذه السلع وتوعية المواطنين وتشجيعهم على استعمال المنتجات الوطنية، التي لا شك انها تضاهي في جودتها المنتجات الاجنبية.

★ ما مدى اقبال الشباب السعودي على العمل في المصانع؟

— اقبال الشباب السعودي على العمل في المصانع الوطنية كان محدودا في السنوات الماضية، أما الآن فان الصورة أخذت تختلف تدريجيا عما كانت عليه في الماضي. فاليوم نرى اعدادا منهم راحت تلتحق بالمؤسسات الصناعية، خاصة وان المصانع تتيح لهم فرص التدريب العملي لاكتساب المهارات الفنية اللازمة □

لدول الخليج العربية عن طريق موزعين . وقد قام المصنع مؤخرا بتصدير جانب من منتجاته الى الولايات المتحدة الامريكية والنرويج والسويد . ولدى سؤالنا عن أسباب نجاح المصنع وغزو منتجاته الاسواق الاوروبية والامريكية قال السيد احمد نصر : «ان تشجيع الدولة، والاهتمام بالتسويق داخل المملكة وخارجها، والتشديد على رقابة المنتجات، هي من بين اسباب نجاح المصنع، فنحن نطمح دائما الى ترغيب العملاء بالصناعة الوطنية ولا نألو جهدا في تعريف المواطنين بمنتجاتنا، وخدمة عملائنا بتقديم كل ما من شأنه تسهيل استخدام منتجاتنا بتوفير معدات تركيب البلاط وتنظيفه، وتقديم مواد لاصقة ضد الماء وصموغ الابوكسي ومركبات لتسديد الثقوب وما شابه ذلك .

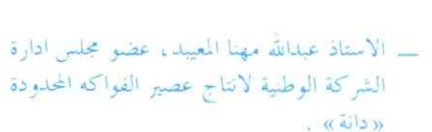
الشركة الوطنية لإنتاج عصير الفواكه المحدودة (دانة)

اتخذت الشركة هذا الاسم التجاري حرصا منها على جودة اصناف عصير الفواكه، ولينطبق الاسم على المسمى . وكان لنا لقاء مع الاستاذ عبدالله مهنا المعيبد، عضو مجلس ادارة الشركة والمشرف على اعمالها، ليحدثنا عن تأسيس الشركة ومصنعها فقال : لقد حصلنا على ترخيص باقامة المصنع عام ١٩٧٨م وانتهت اعمال الانشاء في مطلع عام ١٩٨٠م وباشرنا الانتاج الفعلي في شهر يوليه ١٩٨٠، كالمانجا والاناناس، والبرتقال، والليمون، والمشكل والطماطم. ومنتجاتنا من اصناف العصير والمرطبات شقت طريقها الى الاسواق نظرا لجودتها ومذاقها، اضف الى هذا أنها طبيعية وطازجة دائما . وتبلغ طاقة المصنع الانتاجية نحو مليوني كرتون، في كل منها ٤٨ علبة، أو ما يعادل نحو عشرين الف طن من العصير بأنواعه المختلفة، وعلى رأسها عصير المانجا الطبيعي، الذي يلاقي نجاحا كبيرا، ليس في المملكة العربية السعودية فحسب بل في الخارج ايضا . فالمصنع ينتج عددا من انواع العصير المركز تشتمل على عصير المانجا والاناناس والبرتقال والطماطم والتفاح، كما ينتج عددا

٢

١





١ ـ الاستاذ عبدالله مهنا المعيبد، عضو مجلس ادارة الشركة الوطنية لانتاج عصير الفواكه المحدودة «دانة» .

٢ ـ الاستاذ علي عبدالحميد علي، مدير عام الشركة العربية المتحدة لصناعة المرطبات، وهي احدى الشركات المنتجة للمرطبات ذات المستوى الرفيع، تعكسه هذه اللوحة التقديرية التي حازت عليها الشركة .

٣ ـ تشكيلة واسعة من عصير الفواكه الطبيعي «دانة» ذي النكهة المميزة .

٤ ـ «دانة» تعني اللؤلؤة الكبيرة النادرة، وهي الاسم التجاري لأصناف عصير الفواكه الطازجة التي تنتجها الشركة الوطنية لانتاج عصير الفواكه المحدودة .

٥ ـ تخضع الحقن الطبية التي تنتجها شركة الشفاء لمواصفات دولية دقيقة وتستخدم في انتاجها أحدث التقنيات العلمية .

٣





من انواع العصير المخفف ـ Nectar تشتمل على عصير المانجا والبرتقال والاناناس والفواكه المشكلة. ويجري تصريف انتاج المصنع في المنطقة الشرقية وفي المنطقة الوسطى والمنطقة الغربية، ويتم تصدير جزء من الانتاج الى دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الى جانب تصدير عصير المانجا الطبيعي الى الولايات المتحدة الامريكية ويلاقي رواجا فيها.

شركة الشفاء لصناعة الحقن الطبية المحدودة

في مجال الصناعات الطبية أتيحت لنا فرصة لزيارة مصنع شركة الشفاء لصناعة الحقن الطبية، وهو من المصانع الحديثة في المدينة الصناعية الاولى بالدمام. وقد شرح لنا الاستاذ محمد فهمي الغنام، مدير الجهاز التسويقي، عمليات تصنيع الحقن الطبية التي تحمل الاسم التجاري «رامي». وتحدث الينا الشيخ سالم محمود عبد الجواد رئيس مجلس إدارة الشركة عن تأسيس الشركة قائلا: ترجع ملكية الشركة الى مجموعة من المواطنين السعوديين برأسمال سعودي مائة بالمائة، وتعود فكرة انشاء المصنع الى ما قبل عام ١٩٧٧م عندما بدأنا بدراسة الجدوى الاقتصادية للمشروع، وتم الحصول على التراخيص اللازمة من مختلف جهات الاختصاص في مطلع عام ١٩٨٠م، ثم بوشر بالبناء وتركيب الآلات والمعدات وتم انجاز ذلك في اواخر عام ١٩٨٣. وبعد الانتهاء من تدريب العاملين على التشغيل دخلنا في مرحلة التشغيل التجريبي عام ١٩٨٤. ومع اشراقة عام ١٩٨٥ بدأنا في الانتاج بكميات تجارية ووقعنا اول عقد كبير مع وزارة الصحة. وحتى يقوم المصنع بدوره البنّاء في تنشيط الحركة الصناعية في المملكة عقدنا العزم على ان تتم عملية التصنيع لدينا من الالف الى الياء وفق برامج وخطط محددة بالتنسيق مع «سابك» لتزويدنا بالمواد الخام من انتاجها. وتتم مراحل عملية تصنيع حقن «رامي» بطريقة آلية وفقا لأحدث الاساليب العلمية، حيث يتم أولا تشكيل الهيكل الاساسي للحقنة المؤلف من الاسطوانة والمكبس، كل على حدة، ثم يجري احالتها الى مختبر الجودة النوعية لفحص نتائج هذه المرحلة، ثم تبدأ مرحلة التجميع، وفيها تتم طباعة التدريج السنتيمتري والمليمتري لكل مقاس على الاسطوانة، ثم يتم تثبيت السدادة المطاطية في المكبس، ومن ثم يجري تركيب المكبس داخل الاسطوانة الخارجية، وتركيب الابرة لتأخذ الحقنة شكلها النهائي، ويتم تحويلها دون تغليف الى مختبر الجودة النوعية للفحص، وبعد اعتمادها يتم ترحيلها الى المرحلة الثالثة، حيث يتم تغليفها وتعبئة كل مائة حقنة في عبوة صغيرة، ومن ثم تنتقل الى المرحلة الرابعة حيث يجري تعقيمها بأشعة جاما، واستخدام احدث التقنيات العلمية في حقل التعقيم للحصول على افضل واسلم النتائج، ومن ثم يتم تعبئة كل عشر عبوات بعد فحوص دقيقة وصارمة في المختبر الميكروبيولوجي لضمان التعقيم. وبعد التأكد من سلامة المنتجات تصبح جاهزة للتصريف.

وتصل الطاقة الانتاجية السنوية للشركة الى ثلاثين مليون حقنة، يمكن رفعها الى مائة







مليون حقنة تبعا لفترات التشغيل. ولما كان الهدف الاساسي لانتاج الشركة، هو تغطية جميع مناطق المملكة، فقد تم وضع برنامج خاص لتصريف الانتاج في جميع انحاء المملكة، ونحن بصدد اجراء اتصالات مع بعض دول الخليج وبعض الدول العربية لتصريف الانتاج فيها.

شركة أصباغ همبل البحرية السعودية

تحتل صناعة الاصباغ مكانة مرموقة في المملكة العربية السعودية نظرا لاستعمال الاصباغ في اغراض شتى كأعمال البناء والأعمال الصناعية العامة ووسائل النقل والهياكل الحديدية، والسفن، والمعدات، والخزانات، وما الى ذلك، لصيانتها وحماية السطوح الخارجية من التآكل. وتنتج شركة اصباغ همبل البحرية السعودية في مصنعها القائم في المدينة الصناعية الاولى بالدمام أنواعا عديدة من الاصباغ عالية الجودة الملائمة للاحوال الجوية السائدة في المنطقة. اما صاحب المصنع فهو الشيخ عبدالرحمن السحيمي وشركاه. وقد تبلورت الفكرة لتأسيس مصنع لانتاج الاصباغ لكافة الاستثمارات باعتبارها من المواد الاساسية في اعمال الانشاء والصيانة. وبعد دراسة مستفيضة، تم تأسيس المصنع، فكان اول مصنع يؤسس في المدينة الصناعية الاولى بالدمام، وأول مصنع بالمملكة العربية السعودية لانتاج الاصباغ. وبدأ المصنع انتاجه التجريبي في شهر اكتوبر ١٩٧٣م، وباشر انتاجه الفعلي في مطلع عام ١٩٧٤م بطاقة انتاجية بلغت ٤٤٠٠ طن سنويا. ومنذ السنة الاولى اتضحت الرؤية الكاملة لأصحاب وادارة المصنع وبما حققه من نجاح، وذلك من واقع ردود الفعل الايجابية من قبل عملاء المصنع وعلى رأسهم شركة ارامكو. ومن هذا المنطلق كثفت ادارة المصنع اهتمامها بتطوير المنتجات لتتناسب مع احتياجات المستهلك، وروعي في تصميم المنتجات الاحوال المناخية السائدة في المملكة. وازداد حجم الطلب سنة تلو اخرى نظرا لما تتمتع به اصباغ همبل من جودة عالية، الأمر الذي حدا بادارة المصنع بطلب رفع

الطاقة الانتاجية، وتوج هذا الطلب بموافقة وزارة الصناعة والكهرباء، وتم رفع الطاقة الانتاجية عام ١٣٩٧هـ الى ١٠٤٠٠ طن سنويا. ولم يقف طموح الادارة عند هذا الحد، فلم تمض اعوام قليلة حتى تقدمت ادارة المصنع ثانية بطلب لرفع الطاقة الانتاجية وصدرت الموافقة على ذلك ورفعت الطاقة الانتاجية عام ١٤٠١هـ الى ١٥٤٠٠ طن سنويا.

مصنع الأفندي للألبان ومشتقاتها

وانتقلنا من طلاء السطوح الخارجية في مصنع أصباغ همبل الى طلاء السطوح الداخلية لجسم الانسان في مصنع الافندي للالبان ومشتقاتها، فهناك كان آخر المطاف لجولتنا في المدينة الصناعية الاولى بالدمّام. واستقبلنا فيه رئيس مجلس الادارة، الشيخ احمد سعيد افندي الذي حدثنا قائلا: « لقد باشرنا في انشاء المصنع وتجهيزه بالمعدات اللازمة عام ١٩٨٠ وبدأنا بالانتاج في شهر مايو ١٩٨٢م. وتبلغ الطاقة الانتاجية السنوية للمصنع نحو ثلاثة آلاف طن من آيس كريم «الافندي» ذي النكهات المتعددة التي تربو على ستين نكهة مختلفة، بالاضافة الى مشتقات الألبان كالحليب الصافي، واللبن، وجبنة حلوم، واللبن الزبادي، و « الجبنة القريشة Cottage Cheese ». وترتفع الطاقة الانتاجية في شهور الصيف بينما تقل في شهور الشتاء، ولهذا نستغل شهور الشتاء في صيانة معدات المصنع. لقد حققت منتجاتنا نجاحا كبيرا في الاسواق المحلية في غضون فترة قصيرة، ولاقت قبولا حسنا لدى المستهلكين. ونحن لا نألو جهدا في تطوير المنتجات وتنويعها لتلبية احتياجات الاسواق المركزية وغيرها. ويجري تصريف معظم انتاج المصنع في مدن المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية والرياض وجدة بالاضافة الى تصدير جانب من انتاجنا الى البحرين ودبي والكويت. والملاحظ حاليا ان حجم الطلب على الالبان ومشتقاتها يتزايد في المملكة، وعليه فان مواكبة النمو المتوقع تتم بتطوير المنتجات ونوعياتها لتتلاءم مع الطلب المتوقع ☐

٣



٤





١ ــ مختبر الاصباغ في شركة اصباغ همبل البحرية السعودية.

٢ ــ جانب من مصنع «همبل» لانتاج الاصباغ.

٣ ــ أنبوب ضخم من انتاج شركة «اميانتيت» التي تنتج انواعا كثيرة من الانابيب لأغراض مختلفة.

٤ ــ الاستاذ احمد سعيد افندي، رئيس مجلس ادارة مصنع الافندي للألبان ومشتقاتها.

تصوير:
تيد المنيا/شركة الخدمات الوطنية
علي عبدالله المبارك/أرامكو

قِصّةٌ قَصِيرةٌ

كيس وسكين وفردة حذاء وابتسامة

بقلم: محمّد صالح إبراهيم / الخرطوم



جلس عمر عبدالله بمنزله يقرأ صحيفة اليوم. ووقفت ثريا، زوجه، بالقرب منه تختلس النظر اليه في قلق وهو يلقي الصحيفة من يده ويسترسل في الخيال. ويبدو ان امرا هاما كان يشغله. ويعود الى القراءة في ضجر ظاهر ثم يتوقف فقد بدأت ثريا تتحدث.. قالت «أتظن ان هذا الحزن سيأتي لك بالمال المطلوب؟» ولم تتلق منه جوابا بل كان الجواب ان اغرورقت عيناه وهو يرسل بصره الاعشى الى الخزينة القابعة في احد اركان الغرفة فانها تحمل اليه ذكريات الماضي القريب يوم كان من كبار رجال الاعمال. ونبهته زوجه لفنجان القهوة الذي ظل راكدا امامه. ففطن لذلك واستجاب لها وهو يقول: «خبر غريب! أرأيت الى الشرطة، لقد اعلنت عن جائزة مقدارها خمسمائة

ريال لمن يدل على لص خطير هارب من وجه العدالة. وفي ذات الوقت نحن نبحث عن قرض مقداره خمسمائة ريال ايضا لافتكاك رهن البيت».

وهنا هبت ثريا في تأثر ويأس تلوح بيدها وتقول: «البيت امره انتهى، فالليلة آخر ميعاد..»

قال لها: «من يدري لعل الله يفرجها هذه الليلة».

هي: «لعلك تفكر في الماضي ايام كنت تاجرا كبيرا يضرب بك المثل، وكانت الخمسمائة ريال هذه تأتيك في يومك أو في ساعتك».

هو: «أي والله صدقت. كم انا حزين ولكن ماذا نفعل مع الزمن. ربنا سبحانه وتعالى اراد لنا ذلك والحمد لله على كل حال.»

هي: «والى اين تنوي الخروج الآن؟».

هو: «الى المقهى لعلي اعثر على من يقرضني هذا المبلغ.»

هي: «لماذا لا تذهب الى بابكر زوج اختي انه في يسر ويستطيع..»

هو: (مقاطعا) «زوج اختك؟! دعينا منه.»

هي: «نعم. اذن ارجوك الا تتأخر الليلة لأني سأذهب لأختي. وكذلك لا تنس حبل الغسيل!»

وفي اللحظة التالية التي يهم فيها بالخروج سمع طرقا بالباب وكذلك رنين التلفون. فصاح لمن في الخارج: «تفضل ادخل» وهرول للرد على التلفون. وبينما هو كذلك دخل عليه الطارق فاذا به بائع الفحم وهو اعرابي غشيم.

عمر — (على التلفون): «اهلا بالأخ محمود.»

الاعرابي — (يظن ان الترحيب به هو): «انا ود اللحيمر.»

عمر — (مستمرا مع التلفون): «اين انت يا اخي. لم نشاهدك من زمن طويل.»

الاعرابي — (ظنا منه ان الكلام موجه له): «كيف كان ذلك؟ لقد كنت معك امس أنسيت؟»

عمر — (واضعا يده على بوق السماعة مخاطبا الاعرابي: «يا أخي، اقعد من فضلك واصبر» قال ذلك واستأنف حديثه على التلفون:

«يا اخي، حسنا. تعالى لي غدا.»

وهنا نهض الاعرابي من مقعده واقبل نحو عمر وهو يقول: «غدا؟ اذن مع السلامة.» وخرج.. وهمّ عمر بالخروج فسمع طرقا بالباب.

عمر: «تفضل. أهذا أنت» (محييا ببرود) «أهلا يا خواجه اسبستس.»

الخواجه — (وهو يضع الحقيبة التي كان يحملها في يده على المنضدة): «أهلا.»

عمر — (متكلفا الترحيب به): «تفضل اجلس تفضل.»

الخواجه — (وهو يضع نظارته على عينيه ويفتح الحقيبة: «شكرا لك انا مستعجل.»

ثم يخرج بعض الاوراق ويقول: «هذا اليوم هو آخر ميعاد للرهن.»

عمر: «نعم انا فاهم. ولكن امهلني اسبوعا أدبر لك المبلغ»

الخواجة — (يجمع اوراقه ويعيدها الى الحقيبة في نرفزة ظاهرة): «سأعطيك مهلة يوم واحد. مع السلامة.» وخرج مغضبا.

اتخذ عمر مجلسه منفردا في ناحية من المقهى الذي كان يتردد إليه كل ليلة ويأمل ان يلقى فيه أحدا من معارفه القدامى. ومضت ساعة وبعض الساعة وهو يرقب الغادي والرائح من عباد الله وأمامه على المنضدة حبل الغسيل.

وظهر فجأة أمامه صديقه عبدالحفيظ وهو يحمل حقيبة ملابسه. وبعد التحية والسلام والعناق والسؤال عن الاحوال طلب عمر الى صديقه ان يجلس ليشرب..

عبدالحفيظ (مقاطعا) «لا. لا. ما اقدر والله اشرب اي شيء فشكرا لك. لقد جئت توا من ود مدني لكي احضر مباراة الكرة فاسمح لي بالذهاب الآن. وسأودع عندك امانة تحفظها لي في الخزينة بمنزلكم العامر. خذ هذا الكيس بداخله خمسمائة ريال. وسأعود لزيارتك بالمنزل لاستلامها بعد غد ان شاء الله.»

عمر — (تبدو عليه الدهشة): «ولماذا لا تأخذ الكيس معك في الحقيبة!»

عبدالحفيظ: «كان ذلك ممكنا لولا الزحام. فالناس في دار الرياضة كما تعلم يتدافعون تدافع الامواج. أما الحقيبة اذا ذهبت فليس فيها سوى بعض الملابس.»

عمر: «حسنا» ويتسلم منه الكيس.

شخص مجهول: «أتريد سيارة اجرة ايها السيد؟» ولم يرد عليه احد.

عبدالحفيظ: «لقد أوشكت أن أنسى (يخرج من جيبه خطابا) وهذا الخطاب مهم ارجو ان تتكرم بتسليمه اياه الليلة.» قال ذلك وحمل حقيبته وانصرف على عجل. وبعد لحظات قليلة، ظهر أمام عمر، الشخص المجهول.

الشخص المجهول: «أتريد سيارة اجرة ايها السيد؟»

* * *

في منزل عمر كان جرس التلفون يدق باستمرار.

ثريا ــ (تدخل مهرولة وترفع السماعة): «منزل عمر عبدالله ـ أهذه أنت يا صفية.. لا شيء أبدا. كل ما في الامر انه تأخر ولغاية الآن لم يحضر مع انني مرتدية ثوبي استعدادا للخروج لزيارتك.. نعم وحدي.. ماذا؟ أخاف؟!.. يستحيل.. صحيح ما تقولين نقطة الشرطة على خطوات من منزلنا وحتى ان كان الامر غير ذلك فاني وانا وحدي بالمنزل لا اخاف من أي شيء.. لا لقد ذهب الوقت وسوف ازورك ان شاء الله صباح الغد. الموضوع؟.. نعم مهم جدا. شكرا.. مع السلامة.»

وفي ذات الوقت سمعت زوجها: «نعم ها أنا ذا.» (وتستقبله): «لماذا تأخرت هكذا وأنت تعلم اني منتظرة عودتك لكي اخرج لزيارة اختي؟»

عمر: «آسف للتأخير».

ثريا ــ (وقد وقع نظرها على الكيس فهدأت): «ما هذا الكيس؟ ماذا فيه؟»

عمر ــ (يضع الكيس والحبل على المنضدة ويرسل ضحكة عالية): «هذا هو سبب مجيئي متأخرا».

ثريا ــ (تجس الكيس بأصابعها ثم تدعك كفيها ارتياحا): «لك الحمد والشكر يا رب. انفرجت الأزمة»

عمر ــ (يخرج من جيبه مفتاح الخزينة ويضعه بجانب الكيس على المنضدة): «الله يفرجها. هذا كيس فيه خمسمائة ريال».

ثريا: «ومن اين لك هذا؟!».

عمر ــ (يبدأ في خلع ملابسه): «إطمئني فهذا المبلغ أمانة.»

ثريا ــ (تتعجب وتمعن النظر في الكيس وأصابع يدها على فمها): «أمانة؟!»

هو: «اسمعي. أول كل شيء ضعي الكيس هذا في الخزينة، فان قلبي يحدثني...»

ثريا: «ماذا هناك ومم انت خائف؟» (قالت ذلك واتجهت الى الخزينة ففتحتها وأودعت فيها الكيس ثم اغلقتها وعادت الى عمر) «هذا هو المفتاح».

ويأخذ عمر المفتاح ويضعه تحت المخدة ويتكىء عليها.

ثريا: «الحمد لله. وما عليك الا ان تدفع المبلغ غدا للخواجه لافتكاك الرهن».

عمر: «ماذا تقولين؟ كيف اسمح لنفسي ان أتصرف في امانة عندي وأنا رجل عشت طوال عمري أمينا ونزيها وأخشى الله في السر والعلن».

ثريا: «وماذا في ذلك يا اخي وانت لا تنوي ان تأكل هذه الأمانة».

عمر: «لا يمكن أبدا. اسمعي يا ثريا».

ثريا: «نعـــم».

عمر: «ان الامانة تعني الامانة. ولا اريد ان اسمع شيئا في هذا الموضوع.»

ثريا ــ (تزفر زفرة وتلاحظ انه لم يخلع حذاءه): «لقد فهمت يا زوجي العزيز. لماذا لم تخلع حذاءك؟»

عمر ــ ينهض جالسا وينحني ليخلع حذاءه ولكنه يعود فيرفع رأسه فجأة): «هناك امر هام كدت أنساه. هذا الخطاب لجارنا وسأذهب لكي أسلمه اياه.»

ثريا: «وأنا سأذهب الى المطبخ وأضع طعام العشاء فوق النار»

عمر ــ (يتثاءب وينحني ليخلع الحذاء): «هذا الرجل جزاه الله كل خير ائتمنني على ماله بدون ايصال او شاهد. صحيح الامانة حملها ثقيل.»

وفي اللحظة التي كان فيها عمر يخلع حذاءه الايمن يفاجأ باللص يدخل عليه شاهرا سكينا.

عمر ـ (ينهض قائما وبيده الحذاء): «من انت يا هذا؟»

اللص ــ (يخطو فيقف بين عمر وبين باب الغرفة): «تعني انك ما تعرفني؟ أنا الرجـل الــــذي رأيتكما أنت وصاحبك في المقهى.»

عمر: «وماذا تريد هنا؟»

اللص ــ (يجول بنظره في انحاء الغرفة وتقع عيناه على الخزينة): «افتح هذه الخزينة».

عمر: «لمـــاذا؟».

اللص: «اقول لك افتح الخزينة. افتح بسرعة والا ... واعْلَمْ اني لا بد ان اخـرج من هـــذه الغرفـة بالكيس الذي اعطاك اياه صاحبـك في المقهى. واعْلَمْ ايضا انه لا احد في الدنيا يستطيع ان يقاومني انا أو يحول دوني وما اريد. افتح وناولني الكيس، هيا..»

عمر: «أي كيس وأي صاحب.. انك تهذي، اخرج من هنا» (يقول ذلك ويقذفه بالحذاء فيخطؤه وينفذ من الباب خارج الغرفة. ويهجم على اللص ويمسك بيده وفيها السكّين ويتصارعان ويسقطان معا على الارض وتسقط السكّين من يد اللص بالقرب مـن باب الغرفة. ولم يكفا عن الصراع. وكان اللص الشرير اكثر احتمالا، اما عمر فقد بدأت قواه تخور شيئا فشيئا حتى تمكن منه اللص اخيرا.. وتوقفا برهة من الوقت كان اللص خلالها يتلفت حواليه باحثـــا عن كل ما كان يهمه في تلك اللحظة: السكّين. ولكن السكّين اختفت من الغرفة ولم يعرف كلاهما اين ومتى وكيف اختفت. ونظر كل منهما الى الاخر نظرة استفهام» ووقعت عين اللص على حبل الغسيل فأخذ يعمل بسرعة. التقط الحبل وأوثق به عمر. ونهض بعد ذلك للبحث عن مفتاح الخزينة في عجلة واضطراب. كان الوقت يطارده. واخيرا وجد المفتاح تحت المخدة فنظر الى عمر وابتسم في سخرية وتهكم.

عمر ــ (متألما مضطربا في وثاقه): «لا. لا. الافضل ان تقتلني ولا تأخذ امانة الناس مني».

اللص ــ (دون مبالاة يفتح الخزينة ويخرج منها الكيس): «هذا شغلي اعرفه انا لا انت. والافضل لك ان تريح نفسك من الكلام في هذا الموضوع. لقد انتهى الامر.»

عمر ــ (منزعجا الى اقصى حد وصارخا في وجه اللص): «انت لا تعرف غير الشر. ضع الكيس مكانه والا ...»

اللص ــ (تاركا الخزينة مفتوحة والكيس في يده): «والا ماذا يا مسكين؟! تذكر انك موثق بالكتاف.. وان التلفون بعيد عنك وانه لا حيلة لـــك سوى السكوت والتسليم للواقع. اما انا فذاهب ومودعك في حفظ الله!» (قال ذلك وخطا نحو الباب وعالج فتحه): «عجيبة! من أغلق علينا الباب؟ هذه لعبة سخيفة..»

عمر ــ (يكتم في نفسه دهشة وارتياحا ظاهرا): «ألم تعلم أن الله يدافع عن الذين آمنوا وتوكلوا عليه؟»

وفجـأة يسمع صوت المفتاح على القفل من الخارج.. وانفتح الباب على مصراعيه. وفوجىء الشرير. هؤلاء هم رجال الشرطة وفي يد أحدهم السكّين! وها هي ذي ثريا معهم وفي يدها فردة الحذاء وفي ثغرها ابتسامة انتصار..

ضابط الشرطة ــ (يفاجأ عند رؤيته للّص ويرتاح للمفاجأة): «أهذا هو انت ايها الشقي؟!» (ويشير الى رجاله): «اقبضوا عليه..»

وهرعت ثريا الى زوجها الموثق على الارض وأخذت تحاول فك الوثاق يساعدها رجل الشرطة.

اللص ــ (وهو مقبوض عليه): «انا اريد فقط أن اعرف كيف حدث هذا..»

ضابط الشرطة: «سوف تعرف كل شيء. هلم» (يستوقفه عمر)

عمر: «يا حضرة الضابط من فضلك. الكيس هذا فيه امانة..»

ضابط الشرطة: «أعرف ذلك فاطمئن وسنرده لك (معقبا) ونحن نشكر السيدة زوجتك لانها أبلغتنا الامر في حينه بالتلفون. وبهذه الطريقة انقذتك من مصير لا يعلمه الا الله. وفي الوقت نفسه، دلّتنا ومكّنتْنـــا من اللص الخطير الذي كنا نبحث عنه»

عمر ــ (يصيح في استغراب): «يا.. يا.. أهو هذا؟!»

ضابط الشرطة ــ (يخاطب ثريا وهو خارج وأمامه اللص ورجال الشرطة): «أهنئك يا سيدتــــي بالجـــائزة. أهنئـــك. □

حرب الحشرات



ذبابة البحر المتوسط، من اشد الحشرات خطرا على الخضار والفواكه وخاصة الحمضيات. وهي تبيض داخل الفاكهة ومن ثم تتغذى يرقاتها عليها.

الزراعية

إبراهيم أحمد الشنطي / هيئة التحرير



إنها حربُ حشرات فعليّة . مقصور فيها الاقتتال على الحشرات نفسها ، وإن كان الإنسان يشترك فيها مناصرًا لفريق على الآخر . أحد الفريقين حشرات ضارّة بالمحاصيل ، والآخر حشرات تفتك بالحشرات الضّارة وتبيدها . ويخوض الإنسان بعلمه جبهة أخرى ضد الحشرات الضارة ، فيفسد بعضها ويطلقه ليوقف تكاثر فصيلته ويفنيه بطريقة غير مباشرة . فيكون كما قال الشّاعر :

"ولكل شيءٍ آفة من جنسه حتّى الحديد سطا عليه المبرد"

قبل نحو عـام، وبينما كان احد علماء الاحياء، بدائرة الزراعة، في ولاية تكساس، يفحص نحلة ميتة، وجد ان في بلعومها بقعا غير عادية. ولما أخذ جزءا من هذه البقع وفحصه تحت المجهر وجد انه نوع من العث المخاطي الذي يلتصق بانبوب التنفس في النحلة الصغيرة السن، فيستنشق نَسَمَها ويمتص نُسغَها، وبالتالي يقضي عليها.

وفي ولاية فلوريدا، على مسافة آلاف الكيلومترات من تكساس، وخلال جولة تفتيش دورية في مزارع الحمضيات، كالبرتقال ونحوه، عُثر على حشرة شديدة الخطورة على تلك الاشجار الغضة اليانعة. وهي حشرة مجهرية اكالة اسمها العلمي «زانتوموناس ــ Xanthomonas »، تلطخ الفاكهة وتجرد الاوراق وتضعف الشجرة. وقد اظهر التحليل المخبري انها حشرة سامة مولَّدة ولم تكن تعرف من قبل.

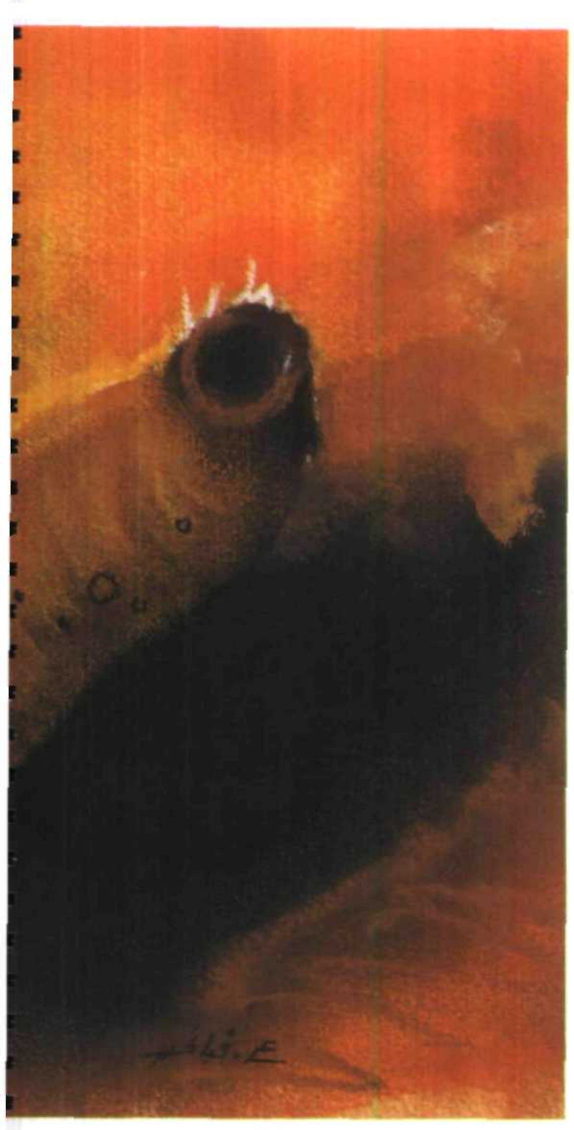
وفي الحال ابيدت خلايا النحل الموبوءة، واحرقت اشجار البرتقال المصابة. لكن تكاليف هذا الغزو المزدوج لخلايا النحل وحقول البرتقال كان باهظا، وظل الحل النهائي للمشكلة صعبا. وبظهور هذا العث المخاطي، لأول مرة، قامت حملة عامة لتبخير خلايا النحل في المناطق المصابة. وبينما كانت اعمال التبخير قائمة، كان هناك نقاش حاد يتركز على النفقات التي تصرف نتيجة هذا الاسلوب. فالنحل ذو علاقة وثيقة جدا بتلقيح ما قيمته نحو عشرة مليارات دولار (٣٦,٥ مليـــار ريـال) من المحاصيل كل سنة، وله فائدة غير مباشرة لما قيمته عشرة مليارات دولار اخرى من الفواكه والخضار. اما من ناحية الحشرة الاكالة التي تصيب الحمضيات فلا يعرف لها علاج غير رشها بالمحاليل المعروفة المضادة للحشرات. واذا لم يكبح خطرها ويوقف ضررها بالحرق، فانها قد تهدد ما قيمته نحو مليار دولار من اثمار الحمضيات في الموسم الواحد.

وبسرعة وصل الخبر الى مركز الابحاث الزراعية في مدينة بلتسفيل بولاية ماريلاند، وهو اهم مركز لخدمات الابحاث الزراعية. ويوجد مثل هذا المركز، في الولايات المتحدة الامريكية، نحو ١٣٩ مركزاً يعمل فيها حوالي ٢٧٠٠ عالم وفني، مهمتهم تحري الاسباب وعلاج الامراض التي تصيب الحيوانات والمواشي والنباتات الزراعية على اختلاف اشكالها، من الطفيليات الى الفطريات، ومن الحشرات والأوبئة الى المتعضيات. ولا تقتصر جهودهم على مكافحة الاعداء الطبيعيين كالبكتيريا والفيروسات بالطرق المعروفة فقط، بل تتعداها الى ابتكار أسلحة متطورة كالهرمونات الاصطناعية والكيمياء الحيوية التي تجتذب تلك الحشرات أو الفيروسات وتدعى الفيرمونات ــ Phermones.

وبغض النظر عن التكاليف والجهود التي بذلت في هذا السبيل، فانه يمكن القول ان الانســـان قد أخذ يكسبُ الحرب التي شنها منذ زمن ضد هذه الحشرات المؤذية. ومع ذلك فان العلماء يحذّرون من ان هذه الحشرات قد تكتسب، مع الزمن، مناعة ضد هذه السموم التي طورتها الابحـاث العلمية. ولذلك فان الحرب ضد الحشرات ستبقى مستمرة وان كانت حدتها قد خفت حاليا.

وحتى سنتين خلتا، لم يصل الى السوق التجارية اكثر من عشرة في المائة فقط مـــن مضادات الحشرات، التي طورتها المختبرات، في حين ان خدمات الابحاث الزراعية قد حصلت على الف براءة اختراع، وسبب ذلك ان القانون كان يمنع احتكار السوق. ولذا ترددت بعض الشركات الكبيرة في استثمار ملايين الدولارات في سوق متخمة بالمنافسين. غير ان القانون تغير فيما بعد وسمح بقصر التراخيص على اساس اهلية المنافسة.

ونتيجة لهذه الاختبارات والأدوية امكن زيادة المحاصيل زيادة كبيرة، لكن الحشرات لا تزال تسبب خسارة كبيرة في المحاصيل الغذائية المختزنة، بعد الحصاد، وتقدر بنحو ستين في المائة من الانتـــاج السنوي. ومن مسببـات الخسارة ايضا هذه الكميات الهائلة من المحاصيل الغذائية التي ينتجها العالم سنويا، حيث تُفتقد كميات كبيرة نتيجة لسوء التوزيع والتخزين. ومع كل هذا، فسيأتي يوم، كما يقول احد الخبراء، لا تكون المشكلة في سوء التوزيع والتخزين فقط، وانما في توقف الزيادة في انتاج المحاصيل الغذائية وابتداء انخفاض متواصل. وهنا سوف نحتاج، كما يقول الخبير، الى كل سلاح يمكننا الحصول عليه لدعم كفاحنا ضد الحشرات.



دودة الذرة الاوروبية، اكثر الحشرات اتلافا للذرة الصفراء في امريكا الشمالية. تتغذى على عمود كوز الذرة الذي تلتف الحبوب حوله، وكذلك على اوراق النباتات، ثم تخرق قصبة النبتة. ولهذه الدودة عدد من الاعداء التي تفتك بها، منها انواع من السوس والخنافس، كما يمكن مقاومتها باتباع دورة زراعية وبالحراثة المستمرة. وهناك اصناف من الذرة لديها شيء من المقاومة لهذه الدودة.



ولمّا كان الكثير من الحشرات الضارة في امريكا الشمالية يأتي، كما تقول المصادر الامريكية، من خارجها، لذا فقد عمدت مراكز الابحاث الزراعية الى استيراد طفيليات تتغذى على الحشرات الضارة وتفنيها. وبذلك امكن توفير عشرات الملايين من الدولارات كانت ستنفق على رش المبيدات الكيميائية، مقابل بضعة ملايين تنفق على نوع واحد فقط من المبيدات الحشرية.

فخنافس اوراق نباتات الحبوب وسوس اوراق البرسيم والبقع التي تلطخها قد امكن التحكم فيها والحد من اضرارها باستيراد حشرة طفيلية، من ايطاليا وفرنسا وبعض البلـــدان الاوروبية الأخرى، تأكل تلك الحشرات الضارة وتبيدها. وهذه الطفيليات تبيد بيض الحشرات الضارة وتأكل يرقاتها. وحتى خنافس البطاطا والفاصوليا، التي يعزى لكل منهما خسارة مائة مليون دولار سنويا؛ قد اخذتـــا بالاستسلام لهذه الطفيليات الحية المستوردة.

كذلك امكن ابادة حوالي ٥٠ في المائة من حشرات العث الموجودة في الولايات المتحدة بواسطة طفيليات امكن استيرادها وتنميتها خلال بضع سنوات. لكن ذلك لم يَكْفِ للتحكم الكامل بحشرة العث التي لا تزال مشكلة عصيّة. اما دبور كولمبيا، وهو بحجم رأس الدبوس، فقد استطاع ان يتحكم في نحو ٨٠ في المائة من مجموع خنافس البطاطا في المناطق التي جرى اختباره عليها في ولاية كولورادو. اذ ان هذا الدبور كان يضع بيضه في بيض خنافس البطاطا. واذا ما امكن التثبت من صلاحيته للمهمة، كما هو مأمول، فان دبابير كولمبيا ستعوض ما قيمته ١٢٠ مليون دولار من المواد الكيميائية التي تستخدم للغرض ذاته كل عام، والتي اخذت الخنافس تعتاد عليها وتقاومها.

ان العملية ليست بسيطة على أي حال. وهي اكثر من عمـــلية اســـتيراد أعـــداد من الطفيليات التي تشكل عدواً طبيعياً للحشرات الضارة، وأول خطوة لذلك هو العثور عليها. كما ان الحذر يحتم تنقية هذه الطفيليات وتصنيفها حتى لا تكون هي نفسها مؤذية، ولا يكون بينها حشرات ضارة. وعلى المزارعين الذين يستخدمون هذا الاسلوب ان يتحلوا بالصبر والاناة، فلأسباب حيوية لا يستطيع العدو الطبيعي التحكم بالحشـــرات الضارة والقضاء عليها بالسرعة التي يريدها المزارعون.

وكما انه لا بد دائما من العثور على اعداء طبيعيين للحشرات الضارة الموجودة حاليا، فان هنـــاك حشرات جديدة واوبئة اخرى ستأتي. ففي ولاية فلوريدا، مثلا، جرى حجز مائة وعشرة اميال مربعة في شمال شرقي مقاطعة «ديد» خلال ربيع عـــام ١٩٨٤. وذلك عندما عثر على ذبابة الفاكهة، المعروفة باسم ذبابة البحر المتوسط، على بعض اشجار الحمضيات بالقرب من مدينة ميامي. ولما كان هناك ما قيمته نحو ٢,٥ مليار دولار من الحمضيات مهددة بخطر هذه الذبابة التي يبلغ طولها نحو نصف سنتيمتر، لذا كان لا بد من تعريضها للرش، بواسطة الطائـــرات العمودية، بمادة الملاثيون ـ Malathion، وكذلك لأســـراب عقيمة من ذكـــور ذبابـــة البحـــر المتوسط يبلغ تعدادها نحو ٢٤٠ مليون ذبابة، جيء بها من هاواي وتم تعقيمها بتعريضها لأشعة كوبالت ــ ٦٠. وتعني هذه النظرية ان جميع الاناث القابلة للاخصاب، التي بقيت على قيد الحياة بعد رشها بالمبيدات، ستكون مشغولة بعملية التزاوج مع الذكور العقيمة، وبهذا تنقضي فترة حياتها، وتقدر بين شهر واحد وشهرين، قبل ان يكون في مقدورها انتاج بيض يمكن ان يفقس ويفرخ. ومع ذلك، يعلق احد المسؤولين في مراكز الابحاث الزراعية بقوله: وعلى الرغم من الاحتياطات

الشديدة التي نتخذها، وأنظمة الحجر الصحي الزراعي الذي نقيمه، تتعرض المحصولات لوباء خطير جديد بمعدل مرة كل ثلاث سنوات. ونحن نقوم، متأخرين، بمكافحة الحشرات الضارة، وذلك بعد ان تكون قد استوطنت وظهرت للمزارعين بشكل واضح. فالحشرة الأكالة في الحمضيات وذبابة المتوسط، والعث المخاطي الذي يصيب النحل، سوف تصل الى البلاد ثانية، في آخر الامر. وربما ستنجو، في يوم ما، من الابادة والفناء. وعند ذلك سيكون لدينا من الحشرات الضارة اكثر مما لدينا الآن.

ومع ان سوق استيراد الطفيليات والحشرات التي تأكل غيرها قد اصبحت رائجة، الا ان قـوة مبيدات البكتيريـا والفيروسات الأخرى لم تعرف كليا بعد. فقد ظهر، في بعض الفحوص المخبرية، ان بعض البكتيريا تؤخر مرض العفن في ثمر الفاكهة ذات النواة، كالخوخ والمشمش، وانها اسلم واكثر تأثيرا من المبيدات الكيميائية، التي قد تولد مقاومة لدى ذلك المرض، ومن ثم تفقد قدرتها عليه. ولا يستبعد، في وقت ما في المستقبل، ان تجد هذه البكتيريا سوقا لها بين سائر المبيدات الحشرية الأخرى. فهناك نوع من البكتيريا، ينشط في الهواء، ينتج مادة بلورية شبيهة بالبروتين، وهي غير ضارة بالانسان والحيوان والنبات والطيور والحشرات النافعة، ولكنها ذات تأثير بالغ على مجموعة كبيرة من الديدان الضارة. فالمادة التي تنتجها تقرح امعاء الديدان وتفقدها شهيتها للأكـل وبالتالي تؤدي الى هلاكها.

وفي عالم الفيروسات المجهرية النافعة سجلت مؤخرا اربعة انواع لها ذات النفع المؤمل للبكتيريا. وعندما تأكل الحشرة الضارة هذه الفيروسات تتضاعف الفيروسات وتنتقل في جسم الحشرة حاملة معها الموت. وبعد موت الحشرة الضارة تنتشر تلك الفيروسات كحبوب صغيرة مميتة تنتظر فرائسها. اضف الى ذلك ان الحشرات الضارة عاجزة، كما يبدو، عن بناء نظام مناعي لها ضد تلك الفيروسات التي تفتك بها، كما هو الحال عند رشها بالمبيدات الكيميائية. وهكذا تظل الاجيال التالية من الحشرات الضارة هدفا سهلا لهذه الفيروسات الفتاكة.

ان تخزين الفيروسات عمل مشحون بالتعقيدات. فالفيروسات، مثلها في هذا مثل البكتيريا، تعتمد على درجة معينة من الحرارة، وهي حساسة للضوء، وذات هدف محدد، وبطيئة نسبيا عند ابتداء تأثيرها. فالحشرات الضارة تستمر في ضررها لفترة يوم أو يومين، بعد اصابتها بالفيروس، ثم تتوقف عن الطعام الى ان تموت خلال ٥ ــ ١٠ ايام. وهذا عكس المبيدات الكيميائية التي تبيدها في الحال.

ونظرا للقيـود المفروضة في الحقل البيئي، فان الفيروس، الذي تجري تنميته في المختبر، يجب ان يمر في نحو اثنـتي عشرة مرحلة، حتى يستطيع تحمل احوال البيئة المتقلبة كالعصارات الحمضية أو القلوية التي تفرزها النباتات، وكذلك تقلبات الجو. فاذا كانت المرحلة تستغرق شهرا واحدا فان هذا يعني ان عملية تهيئة الفيروس للعمل سوف تستغرق سنة كامـلة.

وفي اساليب اخرى يمكن، كما يقول خبراء مختبرات الابحاث، جمع الحشرات الميتة في الحدائق وطحنها وخلطها بماء البرك ورش الفواكه والخضروات بها مباشرة. وهذا العمل سوف يقضي على الحشرات الضارة حيث ان الذي جرى رشه مليء بالبكتيريا. فماء البرك الترابية مليء بمختلف



تعتبر البقة الحلزونية من أشرّه الحشـرات واكثرها فتكا بغيرها. وهي، الى ذلك، لا تشكل أي خطر على البيئة.

الاشياء. واذا ما استطاع المزارع اختيار الفصل المناسب، فان بإمكانه جمع ملايين الفيروسات من الخضـــار المحلية والتي تنزل الـــى السوق كالملفوف والخس مثلا. فنحن معرضون لهذه الفيروسات طوال الوقت دون ان نصاب بأذى. لكن المشكلة هي جمعها في الوقت والمكان اللذين نحتاجها فيهما.

في عام ١٩٠٠ لاحظ احد العلماء الفرنسيين ان اناث حشرات السوس الطاووسي ربما يوجد لديها نوع من الشحنات او الموجات الكهربائية او المغناطيسية التي تطلقها لكي تجتذب الذكور اليها. وبعد نحو ستين سنة استطاع فريق من علماء الكيمياء الالمان ان يعزلوا، بعد جهد مضن، من مزيج كالحساء، به مجموعة تربو على نصف مليون دودة حرير، أول فيرومون — Pheromone مثـير للجنس في تلك الديدان. واليوم، يقول احد علماء الحشرات في مركز الابحاث الزراعية: لقد استطاع العلماء، بما بلغوه من تقدم في هذا المجال، تحقيق وفصل وتخزين فيرومون الجنس، فعليا، لجميع الحشرات المهمة في العالم. واكثر هذه المواد شيوعا تلك الرائحة الدقيقة جدا التي تتبخر من سطح غدة في بطن الحشرة وتصل رائحتها النفاذة، الى مسافة تربو على نصف مساحة ملعب لكرة القدم. أي انه لو وضع هذا الفيرومون في وسط حديقة بمساحة الملعب لاجتذب اليه، بقدرة لا تقاوَم، الجنس الآخر المقابل له من ذلك النوع من الحشرات.

ويضيف العالم الى ذلك قائلا: لا اظن اننا نعرف اسلوبا واحدا، معرفة كافية، لمعالجة سلوك الحشرات بطريقة حاسمة جدا. وما نواجهه حاليـــا هو تَحَدٍّ جديد لمعرفة اسلوب تلقي الحشرات لهذه الرسائل الجنسية. فالحشرة المتلقية لها هوائي ذو رِيَش في كل منها مئات من شعيرات دقيقة بالغة الحساسية، ولكل من هذه الشعيرات عصب يبلّغ الرسالة مباشرة الى دماغ تلك الحشرة. ويضيف العالم: ولو اننا نستطيع فهم كيفية التقاء الرائحة بالشعيرات لادركنا كيفية تعطيل جهاز الاستقبال لدى الذكر، ليصبح غير قادر على تسلم رائحة الجنس التي تصدرها الانثى.

لذلك يقوم العلماء بدراسة الكيمياء الحيوية التي تنظم تطور الحشرات. وفي بحث اجراه احد العلماء، على مثيل لهيرومون حشري، اكتشف ان اكثر من نصف مليون فدان قد تعرضت لنوع من النمل الضار فأبادتها. فقام العلماء بعمل تجارب على هيرومون طبيعي للحشرات لتدريب الكلاب على شم واكتشاف المواقع التي من الممكن ان تتعرض، في المستقبل، لمثل هذه الحشرات الضارة وخاصة المخازن الضخمة المعدة للحبوب.

وفي محاولة اخرى، يقوم علماء الحشرات بتطوير فيرومون لا يجتذب الحشرات الضارة فحسب وانما الحشرات المبيدة لها أيضا. وهم يحاولون، في إحدى التجارب، اجتذاب نوع من البق الحلزوني الشره الذي لا يتعفف عن اكل أي حشرة اذا هي لم تأكله اولا. اضف الى ذلك ان اغراء الحشرات الآكلة بالفيرومونات له فوائد جمة. وخذ مثلا البقة الحلزونية، فعندما تضعها في منطقة لتأكل الحشرات الضارة فيها، فانها لا تشكل أي خطورة على المزروعات بل انها، بعد ان تنجز مهمتها، تروح في سبات عميق طوال فصل الشتاء. ثم هي، اضافة الى ذلك، تضع البيض فيفقس حشرات مثلها آكلة للحشرات الضارة التي قد تأتي في الموسم التالي. وهنا يقول عالم الحشرات متسائلا: لا ارى ان هناك سببا ما يمنع تطوير خليط تجاري يتكون من عدة فيرومونات تجتذب مختلف انواع الحشرات النافعة.

أسلحة جديدة ضد الطفيليات

يشكل انتاج الفيرومون عملية واحدة فقط من عمليات التحكم في الدماغ، لكن دراسة كيمياء دماغ الحشرات الضارة اوجد احتمالات جديدة منها، ان هناك مادة، في جهاز الارسال العصبي للحشرة، ضرورية لعمل الدماغ لديها، وقد امكن تطوير نوع من المضادات الحيوية لها. وهذه النتيجة سلاح جديد ضد خطر الطفيليات الكامنة، كدودة القلب، التي تصيب بعض الحيوانات الثديية، وهو سلاح قوي مأمون وسريع الفعالية.

اما رئيس مختبر انتاج الحشرات النافعة التابع لخدمات الابحاث الزراعية فيرى ان المستقبل هو لهرمون الاعصاب. وقد اكتشفت الدكتورة مارشيا لوب، العاملة في المختبر، بطريقة عفوية لكنها مقنعة، ان عملية انتاج الحشرة الذكر لمادة الذكورة غير مستمرة طوال فترة حياتها، كما كان يظن من قبل، لكنها منظمة دوريا بمرسول كيميائي من الدماغ. وقد عكفت الدكتورة مارشيا، مؤخرا، على اجراء تجارب بغية عزل وتحقيق وتمييز ذلك المرسول، على امل ان يحول عزله دون تعدد الزوجات بالنسبة للحشرة الذكر.

ويفسر رئيس المختبر هذا العمل بقوله: ولما كان معظم الحشرات الاناث احادية الزوج فانه بالامكان شل قدرة عدد منهن على الاخصاب اذا ما عقم ذكر واحد، لان الذكر الواحد يلقح عدة اناث. ويتوقف نجاح العملية على قدرة العلماء على التدخل في عملية الاستقبال في دماغ الحشرة، وهو امر حيوي. ومثال ذلك، المادة المضادة للحشرات المسماة «د.د.ت.» اذ انها تتدخل في التنظيم العصبي. ولكنها، لسوء الحظ، تعطل جهاز الارسال العصبي العام في الحشرات وفي الحيوانات الثديية، ومنها الانسان وسائر الحيوانات التي ترضع صغارها.

أمّا الدكتورة دورا هيز، كبيرة علماء مختبر حشرات الماشية في خدمات الابحاث الزراعية، فتقوم، مع زميلها الدكتور هوارد جيف، بفصل وتنقية مادة معينة من ادمغة نوع من الذباب يعرف بذباب الوجه. وهما يظنان بان هذه المادة، وهي مركب من هيرومونات الاعصاب، تتحكم في تغيير وتمثيل المواد الغذائية ذات العلاقة بفترة سبات الذبابة في فصل الشتاء. وذباب الوجه هذا ذباب مهيج يهاجم رؤوس الخيول والابقار، ويعتقد بانه ينقل معه مرض التهاب باطن الاذن للمواشي. واذا ما امكن خداع الذبابة في الفترات الضوئية بحيث تظن ان الوقت هو موعد سباتها، فيحتمل، عند ذلك، ان نعيقها عن الاكل والانتاج فتخلد الى النوم. او ان نعكس الوضع لها فنجعلها، قبيل حلول الشتاء، تضع كل طاقتها في اعداد اماكن التفريخ ووضع البيض بدلا من تحضير الوقاية التي يحتاجها جسدها خلال فترة السبات.

إنّ كلا من الدورتين بالغة الاهمية، كما تقول الخبيرة، وتضيف: «قبل بضع سنوات اجريت تجارب للحَدّ من توالد الذباب عن طريق عقم الذكور، لكن الطريقة لم تتم كما كان مقررا لها. لأن العلماء تأخروا في اطلاق الذكور المعقومة عن الموعد المقرر ان تتنافس فيه على الاناث مع الذكور غير المعقومة، حيث كانت عملية التزاوج قد تمت قبل انطلاق الذكور المعقومة للقاء الاناث.»

وفي غمرة هذه المحاولات والابحاث للتخلص من الحشرات الضارة جاء عالم كيميائي ليحذر من خطر العبث باشكال الحياة الطبيعية. فنظريا ليس من المفترض ان تطور الحشرات أي مقاومة ضد هيرموناتها الخاصة. لكن هذه النظرية غير صحيحة حيث وجد ان بعضها قد شكل نوعا من المقاومة المتعارضة اكتسبها من تعرضه المبكر للمبيدات الحشرية والمواد الكيميائية المشابهة. فمثلا اذا كان الهرمون مشكلا من اتحاد حامض بكحول فسوف نجد ان مقاومته له قد تشكلت من حامض وكحول وفوسفات لدن حشرات لديها مقاومة للفوسفات العضوي، وهي تستخدم الكيميائية ذاتها لازالة سم المادة المبيدة.

فمبيد الحشرات المعروف باسم «د.د.ت.» ستطور له الحشرات مقاومة ما بعد اجيال من المعايشة الطبيعية، وسوف يظل نظام التحكم «التام» بالحشرات والاسلوب المثالي لتطبيقه مجرد وهم يتردد. فالفطرة كفيلة بتعديل الوضع في البيئة الطبيعية لبقاء مختلف اشكال الحياة □

بتصرف عن مجلة «ساينس دايجست»



دودة الذرة الصفراء، لا يقتصر ضررها على الذرة فقط، وانما يشمل حقول القطن والتبغ والطماطم ايضا. وتتغذى يرقات هذه الحشرة على لباب ثمار هذه النباتات وكذلك على شعيرات كيزان الذرة.

الطبيب الأندلسي

أبو بكر محمد بن زهر الإيادي

المعروف بـ "الحفيد"

بقلم : فاضل السباعي / دمشق

يأتي «أبو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر» الطبيب الرابع في سلالة أطباء «بني زهر» الاندلسيين الستة الذين تحدثت عنهم كتب التاريخ. فأبوه هو الطبيب «عبدالملك» مؤلف «كتاب التيسير في المداواة والتدبير»، وجَدُّه الطبيب «زهر»، وابو هـذا الاخير هو الطبيب «عبدالملك بن محمد». وأما الجد الاعلى لهذه الاسرة العربية الاندلسية، فهو «زهر»، الذي ينتسب الى قبيلة «اياد بن نزار» العدنانية، التي كان فرع منها قد هاجر مع من هاجر من العرب الى الاندلس بعد الفتح الاسلامي.

والطريف في أمر «ابي بكر محمد»، الطبيب الرابع في الدوحة الزهرية، ان الشهرة الواسعة التي حظي بها في حياته وبعد وفاته سنة ٥٩٥هـ، لم يكتسبها بصفته طبيبا حاذقا قد طبب الامراء والملوك، بل بصفته شاعرا مجليا في الموشحات الاندلسية خاصة.

وفي ذلك يلاحظ المستعرب الفرنسي «غبرييل كولان» ان غاية مؤرخي الاندلس انصرفت الى «ابي بكر محمد» دون ابيه عبدالملك الطبيب الحاذق المبتكر، لأن الابن كان شاعرا، والولع بالشعر غالب على اهل الاندلس، واما ابوه، صاحب الكتاب الطبي النفيس «التيسير»، فانه لم ينظم في حياته بيتا واحدا من الشعر! ويتابع المستعرب، الطبيب، الذي كان قد جعل من بعض أطباء أسرة زهر مدارا للأطروحة التي نال بها مؤهل الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس، مفسرا، بلهجة لا تخلو من نقد حميم، ان في التراث العربي ما لا يحصى من «الاشجار المثمرة والفواكه اللذيذة»، ولكن همم المستعربين انصرفت الى «ازهار» البساتين والرياض: الى طيب شذاها وجمال الوانها، ولم تحفل كثيرا بثمار البساتين والرياض ولذيذ فاكهتها، فالمستعربون - كما رآهم كولان في وقته أوائل القرن العشرين - لم يتوفروا على كتب العرب في الرياضيات والطب الا نادرا!.

فكيف تحدثت المصادر العربية عن ابي بكر محمد، المعروف بـ «الحفيد»؟

يقول «ابن دحية» (٥٤٤ - ٦٣٣هـ)، معرِّفا به في إكبار ملحوظ: «ابن زهر، الوزير الكبير، وزير اشبيلية وشاعرها المشهور وكريمها ابو بكر محمد، ابن الوزير الكبير الطبيب النحرير ابي مروان عبدالملك، ابن وزير ذلك الدهر وعظيمه وفيلسوف ذلك العصر وحكيمه ابي العلاء زهر، ابن الوزير الكبير ابي مروان عبدالملك الراحل الى المشرق، وبه تطبب زمانا طويلا ...».

ويقول «ابن الأبار» (٥٦٥ - ٦٥٨هـ): ان «ابا بكر اخذ عن ابيه ابي مروان، وعن جده ابي العلاء، علم الطب وانفرد بالأمامة فيه في وقته، مع الحظ الوافر من الآداب واللغة والحفظ لاشعار الجاهلية والمولدين (...) واليه كانت رياسة بلده، وكان لا يعدله احد من رجالات الاندلس في الحظوة عند الامراء ورفع المنزلة، سمحا جوادا نفاعا بجاهه وبماله، ممدوحا من رجال الكمال ...».

وأما «ابن ابي اصيبعة» (٥٩٦ - ٦٦٨هـ)، مؤرخ الاطباء، فقد قدم لنا، في كتابه الشهير «عيون

الأنباء في طبقات الأطباء»، معلومات شخصية اضافية، فقال ان ابا بكر «كان معتدل القامة، صحيح البنية، قوي الاعضاء، وصار في سن الشيخوخة ونضارة لونه وقوة حركاته لم يتبين فيها تغير، وانما عرض له في أواخر عمره ثقل في السمع. وكان حافظا للقرآن والحديث، ويشتغل بعلم الادب والعربية، ولم يكن في زمانه اعلم منه بمعرفة اللغة. ويوصف بأنه قد أكمل صناعة الطب والادب، وعانى عمل الشعر واجاد فيه، وله موشحات مشهورة ويغنى بها، وهي من اجود ما قيل في ذلك (...) وكان مهيبا، وله جرأة في الكلام، ولم يكن في زمانه اعلم منه بصناعة الطب، وذكره قد شاع واشتهر في اقطار الاندلس وغيرها من البلاد (...) كان شديد البأس، يجذب قوسا مائة وخمسين رطلا بالاشبيلي (...) وكان يجيد اللعب بالشطرنج جدا...».

عاش الطبيب الشاعر ابو بكر محمد في عصر دولة الموحدين، التي اظلت المغرب والاندلس. وقد خدم في عهد الخليفة الموحدي الكبير «عبدالمؤمن بن علي» (المتوفى سنة ٥٥٨هـ، وفي عهد ابنه «يوسف» (٥٨٠)، ثم في عهد «يعقوب المنصور» (٥٩٥)، الذي سجل انتصارا ساحقا على عدوه الفونس الثامن ملك قشتالة في المعركة التي سميت بـ «يوم الارك».

تقول احدى الروايات ان ابا بكر محمد، الذي عرف منذ شبيبته طبيبا «صائب الرأي، حسن المعالجة، جيد التدبير»، رأى يوما عند الخليفة عبدالمؤمن دواء قد وصفه له أبوه الطبيب عبد الملك. فوصف للخليفة دواء غيره بدلا عنه! ولكن الخليفة لم يتناول دواء الابن. فلما رأى الاب الدواء، قال للخليفة: «يا امير المؤمنين، ان الصواب في قوله»، وبدل بدوائه دواء ابنه!

ولقد كان الطبيب الشاعر الوزير كثيرا ما يغادر موطنه اشبيلية ملتحقا بدار الخلافة في المغرب. ومن شعره، وهو بعيد عن اسرته في مراكش، يتشوق لولد له صغير:

ولي واحد مثل فرخ القطاة ... صغير، تخلفت قلبي لديه
وأفردت عنه، فيا وحشتا ... لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته ... فيبكي عليَّ وأبكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا ... فمنه اليَّ ومنّي اليه

ويحدثنا المقري في «نفح الطيب» ان الخليفة «يعقوب المنصور» لما سمع هذه الابيات تأثر، وارسل – دون علم وزيره الشاعر – المهندسين الى اشبيلية، «وامرهم ان يحتاطوا علما ببيوت ابن زهر وحارته»، ثم امرهم ان يبنوا مثلها في مراكش في اقرب مدة... «ثم امر بنقل عيال ابن زهر وأولاده وحشمه واسبابه الى تلك الدار. ثم احتال عليه حتى جاء الى ذلك الموضع، فرآه (ابن زهر) اشبه شيء ببيته وحارته! فاحتار لذلك، وظن انه نائم، وان ذلك احلام! فقيل له: ادخل البيت الذي يشبه بيتك! فدخله، فاذا ولده الذي تشوق اليه يلعب في البيت!».

ويقول ابو ابكر محمد في قصيدة له انشدها وقد شاخ وغلب عليه المشيب:

اني نظرت الى المرآة قد جليت
فأنكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيت فيها شويخا لست اعرفه
وكنت أعهده من قبل ذاك فتى
فقلت: أين الذي بالأمس كان هنا؟
متى ترحل عن هذا المكان؟ متى؟
فاستضحكت، ثم قالت وهي معجبة:
ان الذي أنكرته مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادي: يا أخي! وقد
صارت سليمى تنادي اليوم: يا أبتا!

عمّر الحفيد ابو بكر حتى قارب التسعين. جاء في الروايات انه غادر، مرة، اشبيلية في زيارة لمراكش، وبرفقته بنت اخته، وذلك في أول عهد الخليفة «محمد الناصر» ولد يعقوب المنصور. وفي بلاط الخلافة في مراكش «كان ابو زيد عبدالرحمن بن يوجان، وزير المنصور (قبل وفاته)، يعادي الحفيد ابا بكر بن زهر ويحسده لما يرى من عظم حاله وعلو منزلته وعلمه، فاحتال عليه في سم صَيَّره مع احد ممن كان عند الحفيد ابن زهر، فقدمه الى الحفيد بن زهر في بيض، وكانت مع الحفيد ايضا بنت اخته (وهي طبيبة لها خبرة جيدة بمداواة النساء)... فلما اكل الحفيد من ذلك البيض وبنت اخته، ماتا جميعا، ولم ينفع فيهما علاج»!

وكانت وفاته سنة ٥٩٥هـ (١١٩٨م)، «وصلّى عليه الخليفة، ودفن بروضة الامراء، ومولده سنة ٥٠٧هـ، وقيل ايضا انه ولد سنة ٥٠٤هـ.

وكان قد نظم هذه الابيات ، واوصى ان تكتب على قبره ، مشيرا فيها الى طبه ومعالجته للناس :

تأمل بفضلك ، يا واقفا ولاحظ مكانا دفعنا اليه
تراب الضريح على صفحي كأني لم امش يوما عليه
أداوي الأنام حذار المنون فها أنا قد صرت رهنا لديه

لم يعرف ان الحفيد ابا بكر محمد بن عبدالملك ابن زهر قد الف كتابا في صناعة الطب . كما انه لم يصلنا من اشعاره الا تلك القصائد والمقطوعات اليسيرة المتناثرة في بطون الكتب القديمة . ولكنه عرف شاعرا مجليا في الموشحات الاندلسية .

وأما خامس اطباء بني زهر ، فهو ابن الحفيد : « ابو محمد عبدالله بن ابي بكر محمد » ، و « كان جيد الفطرة ، حسن الرأي ، جميل الصورة ، مفرط الذكاء ، محمود الطريقة ، محبا للبس الفاخر . وكان كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيها والتحقيق بمعانيها » .

ومع ان ابن ابي اصيبعة يقول ان ابن الحفيد قد « اشتغل على والده ، ووقفه على كثير من اسرار هذه الصناعة وعملها » ، الا اننا نرى ان ذلك لا يعني تحذقه ومهارته في الطب في عهد والده . لأنه ولد سنة ٥٧٧هـ في اشبيلية ولأبيه من العمر سبعون سنة أو اكثر ، ولم يقدر له ان يعيش في كنف ابيه الا ثمانية عشر ربيعا .

وقد سار الطبيب ابو محمد عبدالله ، ابن الحفيد ، الذي اولع بالعلوم الطبيعية وخاصة علم النبات ، فقد درسه درسا وافيا لما له من الصلة الوثيقة بالنباتات والحشائش الطبية التي كانت تستعمل في عصره ، والتي استعملها الناس في المداواة قبله منذ اقدم عصور التاريخ ... سار ابو محمد عبدالله ، من الاندلس الى حيث الخليفة الناصر في العدوة المغربية ، املا في ان يأخذ حظه في الوزارة كما نال ابوه وجداه عبدالملك وابو العلاء زهر .

وفي حبه للبذخ ، تقول احدى الروايات ، انه « لما توجه الى الحضرة خرج منه ، فيما اشترك لسفره ونفقته في الطريق ، نحو عشرة آلاف دينار » ! وحدث الخليفة الناصر ، لدى وصوله اليه ، انه اتى ليكون في خدمته كما كان ابوه ، وليجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه بين يدي امير المؤمنين . ولقد كان الطالب والمطلوب متقاربين في السن ، فأكرم الخليفة ضيفه إكراما بالغا ، واطلق له من الاموال والنعم ما يفوق الوصف . واصبح مجلسه عند الناصر في الموضع الذي كان يجلس فيه والده الحفيد ، فهو الثالث الى جانب الخليفة ليس يفصل بينهما الا اثنان من رجالات الدولة .

هل نقول : ان هذه المنزلة الرفيعة لهذا الشاب الطموح الذي لم يتعد الخامسة والعشرين من العمر ، قد اثارت الحسد عند بعضهم فعجلت به ؟ لقد دسوا له السم ، وهو في مدينة « سلا » ، بجهة رباط الفتح ، يتأهب للتوجه الى مراكش ، فمات من فوره . ودفن حيث وافاه الاجل ، قبل ان يحمل جثمانه الى اشبيلية ويدفن عند آبائه خارج باب الفتح . وكانت وفاته سنة ٦٠٢هـ (١٢٠٥م) .

خلف ابن الحفيد « ولدين ، كل منهما فاضل في نفسه ، كريم في جنسه . احدهما يسمى ابا مروان عبدالملك ، والآخر ابا العلاء محمد » .

وأصغرهما ، « أبو العلاء محمد » ، هو سادس أطباء بني زهر ، وآخر هذه السلالة الطبية الطيبة . ولكنه لم يشتهر في الطب على غرار اسلافه العظام ، ولذلك لم يكتب عنه مؤرخ الاطباء ، ابن ابي اصيبعة الا هذه الكلمة الوجيزة : « معتن بصناعة الطب ، وله نظر جيد في كتب جالينوس ، وكان مقامهما (هو واخوه الاكبر) في اشبيلية » .

كانوا ستة أطباء ، من بني زهر !

ونضيف : وكان ، في الاسرة ، طبيبتان ايضا ، اشارت اليهما المصادر التاريخية دون تفصيل :

اولاهما : اخت الطبيب الشاعر ابي بكر محمد ، ابنة الطبيب عبدالملك صاحب كتاب « التيسير » ، تكنّى بـ (ام عمرو) كما سمّاها ابن عبدالملك المراكشي في السفر الثامن من كتابه « الذيل والتكملة » .

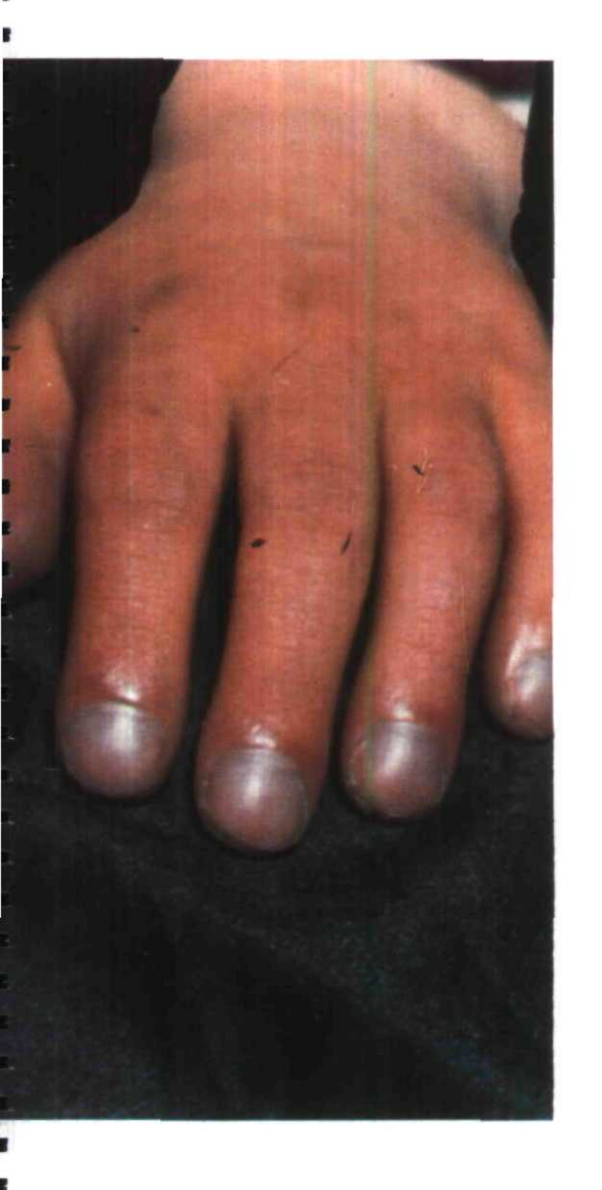
والاخرى : ابنتها ، حفيدة عبدالملك .

وما حدثنا عنهما مؤرخ الاطباء ، انهما كانتا « عالمتين بصناعة الطب والمداواة ، ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء ، وكانتا تدخلان الى نساء المنصور » ، يعني الخليفة الموحدي يعقوب المنصور .

وقد توفيت الابنة ، حفيدة عبدالملك ، مع خالها ابي بكر ، مسمومين - كما سلف - في مراكش ، في شهر ذي الحجة سنة ٥٩٥هـ بفعل الوزير الحاسد « ابي زيد عبدالرحمن بن يوجان » ، الذي - كما تقول الرواية نفسها - « لم يمت الا مقتولا ، قتله بعض اقاربه » □

المعـــوَّقـُـوْن

بقلم : د . زهير أحمد السباعي / الرياض



الاعاقة هي كل ما يحد من قدرات الانسان العقلية أو النفسية أو الجسدية ويجعله غير قادر على ان يمارس حياته الطبيعية المتوقعة منه في حدود عمره وجنسه وظروفه البيئية. ويقدر عدد المعوقين في العالم بحوالي ٥٠٠ مليون. وتتراوح نسبتهم ما بين ١٪ و ١٠٪، حسب ظروف المجتمع وطبيعته. فعلى سبيل المثال، هنالك حوالي ٢٠ في المائة من سكان بعض القرى في افريقيا تصاب بعمى الانهار نتيجة لطفيلي «الاونكوسيركايسيس». ومنذ ٣٠ سنة مضت، كانت نسبة عالية من سكان واحتي القطيف والاحساء مصابة بمضاعفات مرض الرمد الحبيبي «التراخوما».

والغالبية العظمى من المعوقين قادرون على التكيف ازاء هذه المعوقات والتغلب عليها اذا ما اتاحت لهم الاسرة واتاح لهم المجتمع الظروف الملائمة للحياة الكريمة التي تجعلهم افرادا صالحين في المجتمع، عاملين فيه حسب قدراتهم وامكاناتهم.

أسبابُ الإعاقة

يمكن ان نقسم اسباب الاعاقة الى اسباب تعود الى ما قبل الولادة، واثناء الولادة، وبعد الولادة.

أسبابُ ماقبل الولادة

★ **أمراض وراثية**: أي ان الاستعداد للمرض ينتقل من الآباء الى الابناء عن طريق جينات التناسل، واقرب مثال على ذلك مرض «فينايل كيتون يوريا» حيث يعاني الطفل من نقص في أحد الانزيمات التي يفرزها الكبد مما يؤدي الى اضطراب في التمثيل الغذائي للبروتينات وبالتالي الى تخلف عقلي. هذا المرض، يصيب طفلا واحدا في كل ١٠ آلاف حالة ولادة. اما اذا كان كلا الابوين حاملا لصفة المرض، فان واحدا من كل ٤ من أطفالهم يصاب به، واثنين يحملان الصفة ولا يظهر عليهما المرض، وواحدا يبقى صحيحا.

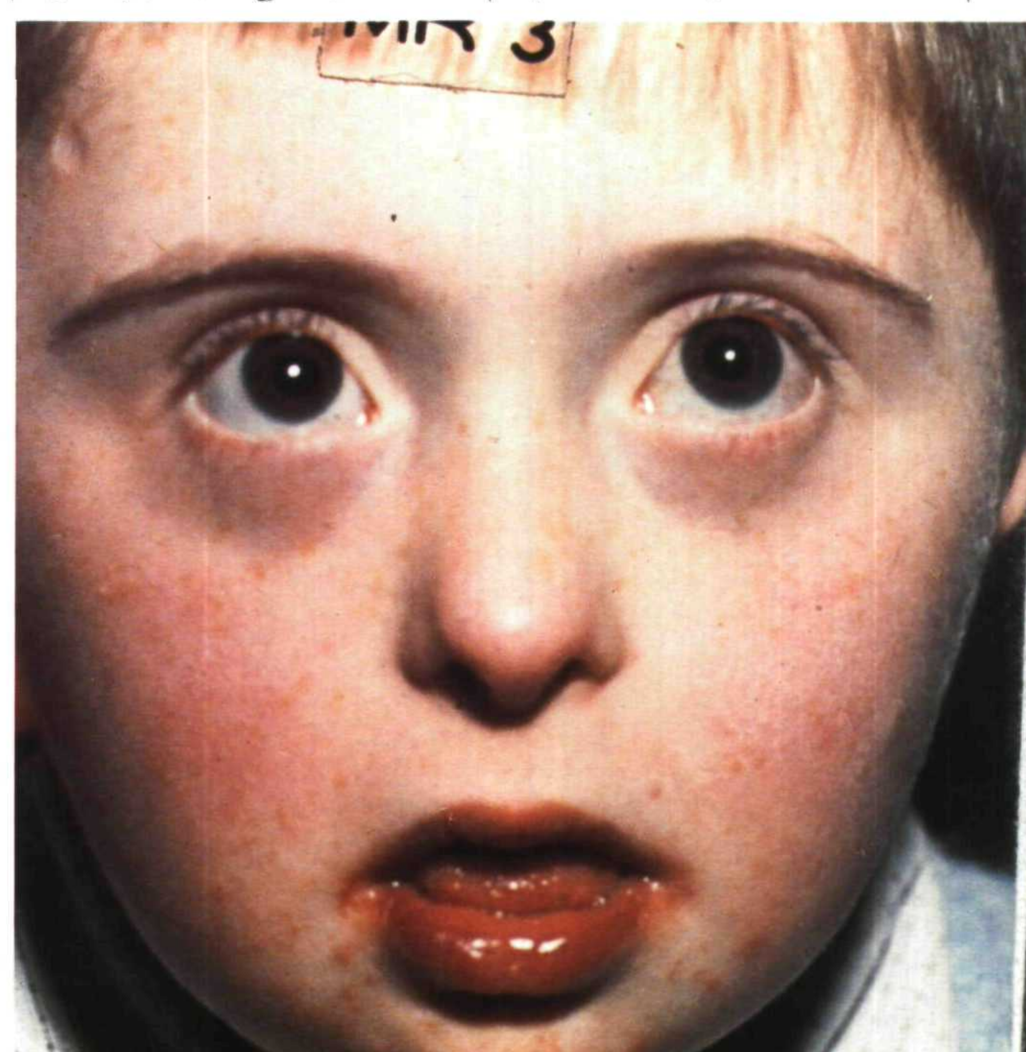
★ **اضطراب في تكوين الكروموسومات أو صبغات الوراثة**: وأقرب مثال على ذلك الطفل المنغولي. ويحدث هذا المرض نتيجة لزيادة عدد الكروموسومات من ٤٦ الى ٤٧ كروموسوما. وفي المتوسط يولد طفل منغولي واحد في كل ٦٠٠ حالة ولادة. الا ان هذه النسبة تزداد مع تقدم الأم في السن. فبينما تكون نسبة الاصابة بين الامهات الصغيرات في السن ١ الى كل ٢٠٠٠ ولادة، فان هذه النسبة تصل الى ١ كل ٧٠ حالة ولادة للامهات اللواتي تجاوزن سن الاربعين.

★ **الالتهابات اثناء الحمل**: اذا ما اصيبت الأم اثناء الاشهر الاولى من الحمل بأمراض مثل الحصبة الالمانية أو «التوكسوبلازموزيس» أو «الزهري»، فان الجنين قد يصاب بتشوهات خلقية أو يموت.

★ **الادوية والعقاقير**: بعض الادوية والعقاقير التي تتناولها الأم اثناء فترة الحمل قد تؤدي الى تشوهات لدى الجنين. ومثال ذلك، دواء «الثيلاميد» الذي كان يعطى قبل سنوات كمُهدِّىء للأم الحامل، فنتج عنه حالات عديدة من التشوهات الخلقية لدى الاطفال، كما ان تعاطي الأم للمشروبات الروحية أثناء فترة الحمل قد يؤدي الى ضمور في دماغ الجنين وتخلف في نموه الجسدي والعقلي.

★ **الاشعاع**: إنَّ تَعرُّضَ الأم لمقادير عالية من الاشعة السينية قد يؤثر على تكوين الجنين. وقد نتج عن القاء القنبلة الهيدروجينية على كل من «هيروشيما» و «ناكازاكي» في اليابان اصابة العديد من الاطفال بتشوهات خلقية.

★ **سوء التغذية**: قد يؤدي سوء التغذية لدى الأم اثناء فترة الحمل الى ضعف في قدرات الطفل العقلية والجسدية بعد الولادة.



الطفل المنغولي. يزداد احتمال ولادة الطفل المنغولي مع تقدم الأم في السن.

أسباب الاعاقة أثناء الولادة

تعتمد سلامة الطفل اثناء الولادة على مدى الرعاية الصحية التي تحظى بها الأم. ولعل من بين الأسباب الرئيسية للاعاقة، هي ولادة الطفل قبل الأوان. فمثلا، الطفل الذي يولد ووزنه أقل من كيلوغرامين، هناك احتمال ان يكون معوقا بنسبة تتراوح بين ١٠ و ٥٠ في المائة. وهناك اسباب اخرى، منها ان يكون وضع الطفل في الرحم غير سليم أو ان تسبق المشيمة الطفل أو ان يلتف الحبل السري حول عنقه فيختنق أو ان تكون الولادة عسرة. واغلب هذه الاسباب يمكن تداركها اذا ما حظيت الأم بالرعاية الصحية اثناء فترة الحمل واثناء الولادة.

أسباب مابعد الولادة

هناك اربعة اسباب رئيسية قد تؤدي الى الاعاقة بعد الولادة وتتفاوت اهميتها بتفاوت السن والظروف البيئية والاجتماعية والاقتصادية. وتنحصر هذه الاسباب في سوء التغذية، والالتهابات، والحوادث، وامراض الشيخوخة.

★ **سوء التغذية:**

هذا الجانب هو أهم أسباب الاعاقة في العالم النامي. فنمو الطفل العقلي والجسدي يتأثر الى حد بعيد بمستوى التغذية لدى امه اثناء الحمل، وبمستوى تغذيتها وتغذيته خلال العامين الاولين من عمره. فنقص الحديد أو الكالسيوم أو البروتينات أو الفيتامينات أو غيرها في غذاء الأم الحامل أو المرضع أو غذاء الطفل حديث الولادة، يؤدي الى درجات من التخلف الذهني والنمو الجسدي لدى الطفل. ومن هنا كانت التغذية السليمة للأم والطفل مهمة جدا.

★ **الالتهابات:**

قد يتعرض الطفل في السنوات الاولى من حياته الى كثير من الامراض الميكروبية والفيروسية. ونظرا الى ان مقاومة الطفل لهذه الامراض تكون عادة ضعيفة، فان هذه الامراض قد تؤدي الى اعاقة نموه الجسدي والعقلي. وهناك امراض اخرى قد تؤدي الى كف البصر مثل «الجدري» وقد قضي عليه، ولله الحمد، و «التراخوما» الذي ما زال منتشرا، ومرض عمى الانهار، وهو يكاد ينحصر في بعض بلدان افريقيا.

★ **الحــوادث:**

يتعرض الطفل الذي يحبو أو يدرج في سنواته الاولى الى حوادث تقع داخل المنزل. وهذه الحوادث تنشأ اساسا من جراء اهمال الاسرة لوسائل السلامة في البيت، وقديما قيل «معظم النار من مستصغر الشرر». والطفل الذي يصاب بحروق، أو يصعــق بالكهرباء، أو يسقط من عل، أو يبتلع مادة سامة يمكن وقايته من هذه الاحداث باعطاء اهتمام اكبر لوسائل السلامة داخل البيت.
أما السبب الرئيسي وراء الاعاقة ابتداء من سن المدرسة وحتى سن الشيخوخة، فيكمن في حــوادث السيارات. وليس يخاف على احد ان نسبة حوادث السيارات ومضاعفاتها في دول الخليج العربي اكثر منها في امريكا واوروبا. ولعل السبب الرئيسي وراء حوادث الطرق في مجتمعاتنا يعود الى السرعة الزائدة وعدم مراعاة قواعد السير وانظمة المرور وعدم استعمال احزمة السلامة.



الكروموسومات التي تنقل الصفات الوراثية قد يختل نظامها بتقدم الأم في السن.

★ **الشيخوخـــة :**

يقول سبحانه وتعالى: ﴿**ومن نُعَمِّرْه نُنَكِّسْهُ في الخلْق**﴾ (يسٓ: ٦٨). والشيخ المسِنّ ضعيف، ومقاومته للامراض ضئيلة، ولذلك فهو عرضة للامراض والعاهات، وقد يخفف منها ومن وطأتها اذا ما أخذ من شبابه لشيخوخته فلا يفرط على نفسه بل يعتدل في مناهجه.

الوِقَـــايَـة

ان اتقاء اسباب الاعاقة في كثير من الاحوال أو حتى التخفيف من وطأتها ومضاعفاتها ممكن بتطبيق المفاهيم الاساسية للوقاية. وهي تعتمد، اكثر ما تعتمد، على بعد النظر والحكمة ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا**﴾. واتخاذ اسباب الوقاية يكلف القليل من الجهد والمال والوقت، لكنه على المدى البعيد يوفر علينا مشاكل جسدية وعقلية ونفسية نحن في غنى عنها، فضلا عن الكثير من الالم والحزن والاسى على مستوى الفرد والعائلة والمجتمع. ويمكن تلخيص الخطوط العريضة في الخطوات التالية:

★ توفير الرعاية الصحية للأم اثناء فترة الحمل واثناء الولادة، وخلال فترة الارضاع. ومن هنا ينبغي على الأم الحامل والمرضع مراجعة طبيبها بانتظام للتأكد من خلوها من الامراض، كما ينبغي عليها في الوقت نفسه عدم تعاطي أي من الأدوية دون استشارة طبيبها، وكذلك عدم تعريض نفسها للاشعة الا في حالة الضرورة التي يراها الطبيب. وعلى كل فتاة ان تتلقى المصل الواقي ضد مرض الحصبة الالمانية اذا لم تكن قد اصيبت بها في طفولتها، باعتبار ان الاصابة بها تعطي مناعة ضدها. كما يجب ان يكون غذاء الأم سليما ومتكاملا اثناء الحمل.

★ تطعيم الاطفال في السنة الاولى من اعمارهم ضد الامراض الستة المعدية وهـــي، السل، وشلـــل الاطفـــال، والسعـــال الديكـــي، والتيتانـــوس، والدفتيريا، والحصبة.

★ الاهتمام بالتغذية السليمة للطفل. فإرضاعه لبن الأم أفضل بكثير من إرضاعه بالزجاجة. وإعطاء الطفل عناصر غذائية اخرى غير اللبن منذ الشهر الرابع ضروريٌ لنموه السليم. وعلينا متابعة مراحل نمو الطفل وهو صحيح لحمايته من الامراض.

★ تفادي الحوادث داخل المنزل مثـل الحـــروق والسقـــوط والتسمـــم باكتشاف مواطن الخطـر وإبعاد الطفل عنها أو إبعادها عنه.

★ تفادي الاسباب الوراثية للاعاقـة وذلك بالحد من زواج الاقارب، ومراعاة عدم حمل المرأة في سن الاربعين الا بعد استشارة اخصائي في الوراثة. واذا ما وُجِدَتْ حالة تخلُّفٍ عقليٍّ بين اطفال الاسرة، يستشار الطبيب الاخصائي لبحث التوقعـات بالنسبـة للاطفـال المنتظرين.

★ تفـادي حـوادث السيـارات ومضاعفاتها. وذلك بالتقيد بقواعد السياقة السليمة واستعمال احزمة السلامة وتدريب المسْعِفِين الاولين على طرق الاسعاف ووسائل الانقاذ.

★ الاستعداد لفترة الشيخوخة منذ الشباب باتباع اسلوب حياة معتدل وصحي يشمل الرياضة والغذاء السليم، والابتعاد عن المكيفات والمنبهات والتدخين.

★ ان افضل وسيلة لتفادي المعوِّقات النفسية مثل القلق والاكتئاب والاحباط والشعور بالذنب والهبوط النفسي، هي الاتصال بالله سبحانه وتعالى حتى لا يعود الانسان وحيدا فردا في خضـم الحيـاة، وتقوى الله جل وعلا والاتصال به سرا وجهرا هو خير ملاذ يلجأ اليه الانسان من الفرديـــة والشعـــور بالوحـــدة والصـــراع.

العِـــلاَج

يهدف علاج المعوق الى تخفيف الالم والعجز والوصول به الى مرحلة الشفاء بقدر المستطاع. ويجب ان يشمل العلاج الجوانب الجسدية والنفسية والاجتماعية للمعوق. ويستلزم ذلك انشاء المعاهد الخاصة والمؤسسات الصحية وتوفر الاخصائيين من اطباء عامِّين ونفسيين واخصائيين في العلاج الطبيعي والتمريض والتأهيل المهني. ويتم علاج المعوقين في معظم الحالات عن طريق العيادات الخارجية.

التّـأهِـيل

الهدف من التأهيل هو اعداد المعوق لكي يعيش حياة كريمة يحقق فيها ذاته، ويعتمد فيها على نفسه، ويبقى فردا صالحا للمجتمع. وليس من شك في ان معظم المعوقين لديهم القدرة على التغلب على مشاكلهم لو توفرت لهم فرص التأهيل بما في ذلك التعليم والتدريب والعمل المنتج. اما اذا كان المعوق يعيش في معزل عن الحيـاة مستطيعا بغيره لا

بنفسه، فهذه مشكلة تعزى الى المجتمع الذي لم يوفر له فرصة الحياة الكريمة.

وهناك قواعد اساسية لتأهيل المعوقين يمكن تلخيصها على النحو التالي:

- الغالبية العظمى من المعوقين بما في ذلك الأطفال المتخلفون، يمكن توفير التعليم الاساسي لهم، وتدريبهم على مهنة أو مهن معينة في حدود طاقاتهم وقدراتهم لجعلهم قادرين على الاعتماد على انفسهم والاندماج في المجتمع وتحقيق الذات من خلال العمل.
- ان اقامة المعوق في بيته وبين افراد اسرته افضل بكثير من وجوده في مصح أو معهد طالما كان ذلك ممكنا. كما أن إلحاقه بمدرسة عادية مع اطفال عاديين اذا كانت حالته تسمح بذلك، هو افضل بكثير من إلحاقه بمدرسة خاصة. ومن المستحسن أن يكون علاجه في العيادات الخارجية بدلا من ادخاله مستشفى أو معهد داخلي.
- المعوق اذا تُرِكَ لتيار الحياة يتجاذبه بدون ان يُعْطى حظا كافيا من التعليم والتدريب، قد يساق الى الانحراف أو الجريمة. فقدراته العقلية المحدودة تجعل قياده سهلا.
- العمل المنتج للمعوق مهما كان بسيطا هو في الوقت نفسه علاج نفسي لـه، اذ يشعـره بأهميتـه وجدواه.
- المعاهد الخاصة التي تتولى تدريب المعوقين وتأهيلهم واعدادهم لمواجهة الحياة انما تقوم بعمل انساني كبير. وهي في اغلبها معاهد نهارية يؤمها المعوقون نهارا للتعليم والتدريب، ويعودون الى أسَرِهم ليلا.

وبعد، فهذه الأهداف، يتطلب تحقيقها بذل الجهد والوقت والمال.. والتأهيل هو استثمار انساني يجب ان يسبقه تخطيط سليم. وكلما كان التخطيط قائما على اسلوب علمي ومدروس، كان تحقيق هذه الاهداف امرا ممكنا وميسورا ☐



الطفل المتخلف عقليا في حاجة الى الحنان والحب.

تدريب المعوَّق يمكّنه من الاعتماد على نفسه ويجعله انسانا منتجا في المجتمع.





الجذور وتتغذى عليها، يكافحها المزارعون باتباع دورة زراعية واستعمال اسمدة نيتروجينية، وبعض المبيدات الحشرية التي ترش قبل عملية البذار أو اثناءها. ولدى هذه الحشرة قابلية لتطوير مناعة ضد المبيدات.

راجع مقال: «حرب الحشرات الزراعية»